وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة العربي التبسي – تبسة
Larbi Tebessi University – Tebessa
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences

قسم : علم الاجتماع

تخصص الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية

مذكرة ماستر تحت عنوان

الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية العرف في المجتمع التبسي –أنموذجا–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر L.M.D

اعداد الطالبة :

❖ تقوى بوكوبة

اشراف الاستاذ :

جمال عناق

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبـــــة	الصفـــــــة
جمال عناق	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا ومقررا
رياض شاوي	أستاذ محاضر (أ)	رئيســـــــا
إبراهيم بن زاوي	أستاذ مساعد (ب)	ممتحنا

السنة الجامعية 2021 / 2022

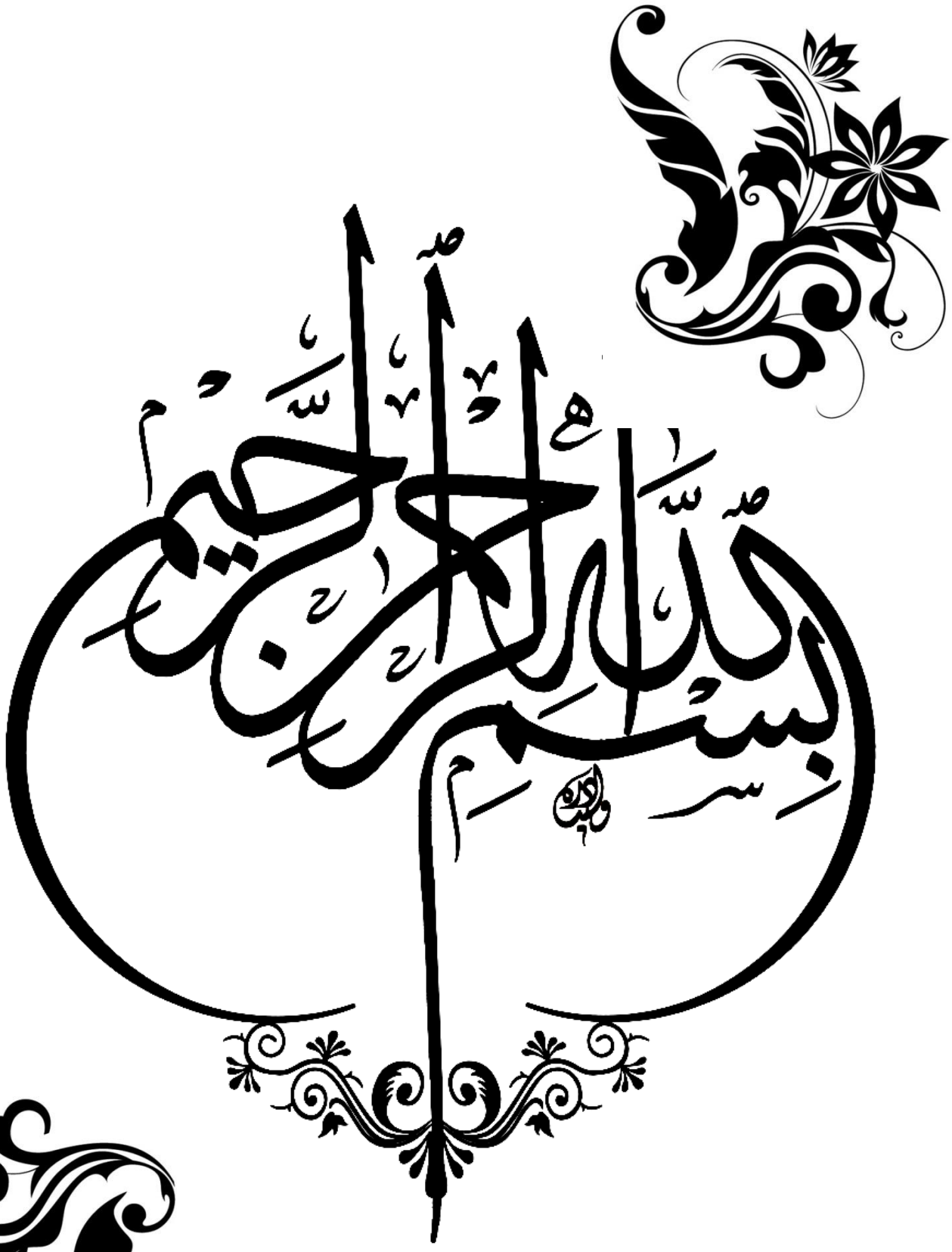
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى العزيز الكريم على توفيقه الذي تتم بنعمته الصالحات

حمدا يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه فله الحمد حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه.

اشكر المولى عز وجل الذي وفقني

على هذا الإنجاز وأعانني عليه بصبر الذي هو مفتاح كل الأعمال

كما اتقدم بجزيل الشكر و التقدير للدكتور المشرف " ***عناق جمال*** " على كل ما قدمه لي من

توجيهات ومعلومات قيمة ، ساهمت في موضوع دراستي .

كما اتقدم بالشكر الي كل من مد لي يد المساعدة و التوجيه الكل حسب قدراته و أخص بالمناسبة

كل أساتذة الانثروبولوجيا وعلم الا جتماع وكل من ساعدني على اتمام هذه المذكرة.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب
الفصل المقاربة المفاهيمية والمنهجية	
1- الإشكالية	04
1-2- الفرضيات	05
1-3- أسباب إختيار الموضوع	05
1-4- أهداف الدراسة	06
1-5- الدراسات السابقة	06
1-6- صعوبات الدراسة	06
1-7- تحديد المفاهيم	06
1-8-المناهج والأدوات المستخدمة	08
1-9-فضاءات الدراسة	11
الفصل الثاني : التاريخ وعلاقته بالأنثروبولوجيا	
2-1- تاريخ نشأة الأنثروبولوجيا وتطور	14
2-2- ميلاد الفكر الأنثروبولوجي عند المسلمين	15
2-2-1- أهمية الكتب لرحالة المسلمين في الدراسات الانثروبولوجية	19
2-3- نماذج من الكتابات الأنثروبولوجية عند العلماء المسلمين	20
2-3-1- عند ابن خلدون	20
2-3-2- عند المرادي	24
2-4-علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ	26
2-5- الأنثروبولوجيا التاريخية في الدراسات الاستعمارية	28
2-6-الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في الجزائر	29
2-7- الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في المغرب	31
الفصل الثالث العرف كمرجعية وحركية للمجتمع التبسي	

3-1- مفهوم العرف.	35
3-2-أقسام العرف في الفقه الإسلامي:	37
3-3: أسباب نشوء العرف في المجتمعات	38
3-4-أثر التحول الاجتماعي على وظيفة العرف	39
3-4-1-أمثلة عن الأعراف المتغيرة	40
3-5- البعد الأنثروبولوجيا لظاهرة العرف	41
3-6- المداخل النظرية لدراسة العرف في المجتمع الجزائري	44
الفصل الرابع: عينات من المجتمع التبسي لدراسة العرف	
4-1- الدراسة الميدانية	49
4-2- تحليل المقابلة على الفئة المثقفة	50
4-3- تحليل المقابلة على الفئة غير المثقفة	54
4-5- التحليل العام	**57**
الخاتمة	64
قائمة المصادر ولمراجع	

مقدمة

- مقدمة:

تعالج الانثربولوجيا الظواهر الإنسانية المتكررة والمتعددة في الماضي والحاضر، وفي أماكن متعددة، في حين يدرس التاريخ الأحداث الإنسانية غير المتكررة، والمرتبطة بالزمان والمكان بعينه. ولقد أسهم التفاعل المتبادل بين هذين التخصصين، في بروز توجه انثروبولوجي سمي بـ: "الأنثروبولوجيا التاريخية" التي تهتم أساسا بدراسة الظواهر والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بصورة عامة، وفق مقاربات جديدة سعيت فيها الى فهم ممارسات المجتمع التبسي من خلال أثر وتمثلات الدين باستحداث أعراف متفق عليها عند أغلبية ساكنة المنطقة، فدراسة الأنثربولوجيا للدّين فالقصد منها دراسة الممارسات الاجتماعية للأفراد سيما تلك المعبرة عن إيمانهم واعتقادهم، لانها (الأنتروبولوجيا) لا تدرس النصوص الدينية كمحتوى، لكنها تتطرّق لعرض تمثّلات الدين في الحياة اليومية للأفراد، ومعرفة مكانة الدين كمرجع لمختلف القوانين العرفية التي تحكم المنظومة التقليدية للمنطقة، ويتم أيضا معرفة مدى اعتباره كمصدر للتنشئة الاجتماعية.

فكل مجتمع يحمل تاريخا وثقافة وقيم تحكم الفرد ، والتي تظهر في ممارساته ومواقفه التي تتجلى في مختلف التفاعلات الاجتماعية، التي يتعرض لها في حياته اليومية وفقا للمعايير التي يقوم عليها كل مجتمع حسب أعرافه ومعتقداته، وهذا ما يجعلنا ونغوص في ابجديات هذا الطرح المرتبط بموضوع دراستنا حول الأعراف بين الماضي والحاضر في ولاية تبسة.

ان المجتمع التبسي باعتباره مجتمعا مسلما فهو يعتمد في ممارساته الاجتماعية على نموذج تقليدي قديم وهو العرف بدرجة كبيرة وملحوظة إذ يعتبر عنده من مصادر التشريع

الذي يتم الاعتماد عليه في الكثير من القضايا مثل: التقسيمات الزراعية، قسمة الفائض الزراعي، وقسمة المياه، وحل النزاعات اذا قامت حولها، باللجوء الى الصلح في قضاياها وفي قضايا الزواج والطلاق وغيرها..ليعتبر من المظاهر الاجتماعية التي تحافظ على تماسك وشد أواصر الإخوة في هذا المجتمع. وعليه جعلنا نهتم بهذا المظهر أو العقد الاجتماعي المهم ومدى استمراريته –أي العرف– منذ عهود قديمة لوقتنا الحالي.

ومن أجل القيام بهذه الدراسة ارتأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: تناولنا المقاربة المنهجية وتطرقنا من خلاله إلى الإشكالية ثم سؤال رئيسي وثلاثة أسئلة فرعية وثلاث فرضيات، ثم أسباب وأهداف الموضوع، كما حددنا المفاهيم والدراسات السابقة وكذلك المنهج المستخدم في الدراسة وأهم الأدوات المستخدمة في الدراسة.

الفصل الثاني: تطرقنا إلى العلاقة بين الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية، وبدايات ظهور الكتابة التاريخية وما علاقة الاستعمار وتأثيره على الدراسات الأنثروبولوجية.

الفصل الثالث: تم فيه التطرق إلى الأعراف بصفة عامة.

الفصل الرابع: تم التطرق في هذا الفصل إلى الدراسة الاستطلاعية الميدانية في المجتمع التبسي ثم تحليل عام على ضوء الفرضيات.

وفي الأخير **الخاتمة** التي تتضمن النتائج ثم قائمة المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في الدراسة.

1

الفصل التمهيدي

1ـ1ـ إشكالية

1ـ2ـ الفرضيات

1ـ3ـ أسباب إختيار الموضوع

1ـ4ـ أهداف الدراسة

1ـ5ـ الدراسات السابقة

1ـ6ـصعوبات الدراسة

1ـ7ـ تحديد المفاهيم

1ـ8ـ المناهج والأدوات المستخدمة

1ـ9ـ فضاءات الدراسة

1.. الإشكالية:

يعتبر العرف إحدى مصادر التشريع في البلدان الإسلامية عامة والجزائر بصفة خاصة، وإنه مما لا شك فيه أن العرف يتولد من متطلبات المجتمع واحتياجاته المتجددة، وله دور محوري في تسهيل حركته بحيث يحفظ منظومة القيم ويحقق الانسجام والتجانس بين مكوناته ويظهر هذا جليا في مختلف المناسبات الاجتماعية في الأفراح والأقراح.

فالعرف له أهمية في حياة الناس وبناء العديد من الأحكام والقضايا عليه، لاسيما فيما يخص المسائل المتجددة مع تجدد الأجيال عبر العصور، والمتغيرة من مكان لآخر، فهو يعتبر أكثر الأدلة الشرعية إظهارا لصلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وكذلك يعتبر مصدر من مصادر القانون نظرا لكون العرف دليلا من الأدلة التي تبنى عليها الأحكام، كما أن دراسة مدى اعتبار العرف في المسائل الأسرية كالزواج، والاعتماد عليه في فك النزاعات، الميراث، الطلاق، وغيرها من الظواهر الاجتماعية، وفي ظل هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع يتبادر إلى أذهاننا الإشكال التالي: ماهي الأبعاد السوسيو ثقافية لهذا العرف كعقد اجتماعي توارثته الأجيال جيل بعد جيل؟ ثم كيف تساهم الانثروبولوجيا التاريخية في ترسيمه كبعد ديني وشكلته الممارسة الاجتماعية ؟

التساؤلات الفرعية:

أ- ماهو العرف كممارسة اجتماعية تاريخية؟

ب-ما مدى أهمية وتصورات المجتمع التبسي للعرف؟ وما هي آثاره وتبعاته عليه؟

ت- هل يكون العرف ركنا أساسيا وله الدور الكافي في الحفاظ على الروابط الاجتماعية؟

ث–ثم الى أي حد يمكننا اعتباره وسيطا وبديلا لحل المشاكل الاجتماعية .

2.1. الفرضيات:

أ– أثرت التغيرات الثقافية في المجتمع على الكثير من العادات والأعراف بسبب الكثير من العوامل التاريخية مثل: الاستعمار، العولمة، التبادل الثقافي... الخ.

ب– المجتمع التبسي يستند إلى مرجعية تاريخية ودينية لاستمرار الحكم بالعرف.

ت– للعرف دور كبير في الحفاظ على الروابط الاجتماعية.

3.1. أسباب اختيار الموضوع:

– الأسباب الذاتية: تتمثل أساسا في رغبتنا الشخصية في دراسة موضوع العرف وإظهار مدى تأثيره على المجتمع التبسي واستمراريته.

الأسباب الموضوعية:

– أهمية العرف وحاجة الناس لتوظيفه في حياتهم ، إذ أن كثير ما يكون معيار للتحكم به خاصة في قضايا الأحوال الشخصية.

– ندرة الدراسات المتعلقة بالعرف يعد حافزا للبحث في هذا النوع من الدراسات.

– اهتمام المجتمع التبسي وتمسكه بالأعراف والحكم به بدل القانون.

4.1. أهداف الدراسة:

– توضيح أسباب التغيرات التي طرأت على الأعراف وتغيرها.

– بيان دور العرف الواسع في استنباط الأحكام والاعتماد عليها في حل النزاعات بد القانون.

- ايضاح الأعراف الفاسدة المؤثرة في المجتمع من أجل تفادي الأخذ بها.

- بيان أهمية العرف والحكم به في المجتمع التبسي.

5.1. الدراسات السابقة:

توجد دراسات متشابهة اعتمدت عليها في هذا البحث:

الدراسة الأولى: مذكرة الاعتبار بالعرف في مسائل الطلاق وآثاره بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري إشراف الدكتورة غجاتي فؤاد، جامعة أكلي محند أولياج، البويرة.

الدراسة الثانية: إبراهيم رحماني: العرف بين الوظيفة التشريعية وإشكاليات التحول الاجتماعي.

الدراسة الثالثة: دراسة أنثروبولوجية ريفية- امتلاك الأراضي الفلاحية والرعوية في العرف الجزائري، منطقة ترار أنموذجا جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، إعداد الطالب: عبد النور بن سليمة.

1-6-صعوبات الدراسة:

-عدم ودود مصادر كافية لمجتمع الدراسة .

-صعوبة في التواصل مع مجتمع البحث بسبب ضروف إجتماعية

-عدم التمكن من اللغات الاجنبية لترجمة الكتب

1-7-تحديد المفاهيم:

1- تعريف العرف: سنعرف من الناحية اللغوية ثم من الناحية الاصطلاحية.

التعريف اللغوي للعرف: العرف يضم العين وهو البذل والعطاء وقد يدل على الصبر وعند ابن منظور: العرف من المعروف أي ضد المنكر وهو كل ما يستحسن من الأفعال[1]، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾"[2] وقوله : "خذ العفو "[3] وفي هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات[4].

التعريف الاصطلاحي للعرف: عند الوقوف على تعريفات الأصوليين للعرف، نجد أن أقدم تعريف له هو تعريف الشيخ حافظ الدين النسقي حيث عرفه أنه: "ما استقر في النفوس وعرفته وتحقق في قرارتها وألفته مستندة في ذلك استحسان العقل ولم ينكره أصحاب الذوق السليم في الجماعة، وإنما يحصل استقرار الشيء في النفوس وقبول الطباع له بالاستعمال الشائع المتكرر والصادر عن الميل والرغبة[5].

العف بضم العين : هو البذل والعطاء وقد يدل على الصبر وعند ابن منظور العرف من المعلوف ، أي ضد المنكر ، وهو كل ماي ستحسن من الاوال والأفعال [6]

تعريف المجتمع:

أ- لغة: مشتقة من الفعل اجتمع ضد تفرق، والمجتمع هو موقع "المجتمع" الاجتماع أو الجماعة من الناس.

---

[1]- جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار النوادر، الكويت، 2010، ص 239.

[2]- سورة لقمان: الآية 17.

[3]- سورة الأعراف: الآية 199.

[4]- إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار طيبة، السعودية، .1999 ص532

[5]- العرف والعادة في رأى الفقهاء، مطبعة الأزهر، مصر، 1947، ص 8.

[6]- جمال الدين بن منظور ، لسان العرب، ج2، ط ، دار النوادر ،الكويت،2010،ص239

ب- اصطلاحا: مجموعة من الناس الذين يقيمون غالبا على رقعة جغرافية معينة من الأرض تربطهم علاقات وتقاليد دائمة.

1-8. المناهج والأدوات المستخدمة:

المنهج الاثنوغرافي: هو أكثر المناهج المتأصلة والمتواطنة أنثروبولوجيا، فهو المنهج الذي يجسد الصيغة الميدانية للبحث الأنثروبولوجي، إذ يجعل منه بحثا تفاعليا ميدانيا، الاثنغرافيا مصطلح يطلق على البحث الميداني الذي يعتمد على ملاحظة الباحث المشارك لأحداث في سياقها الطبيعي.

كما يطلق أيضا عليه البحث الظاهراتي أو الملاحظة الطبيعية.[1]

ويشير البحث الاثنغرافي عادة إلى دراسة الأفراد ميدانيا عن طريق المعايشة المباشرة وذلك ليس فقط قصد تقرير خصائص الظاهرة عن طريق وصفها بشكل مفصل بل كذلك لتفسير واستخلاص المعاني الكامنة وراء الفعل الاجتماعي وتحليلها.

المنهج التاريخي: هو المقاربة التاريخية الأولى لبعض المظاهر الاجتماعية فهو الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية الماضية أساسا لفهم المشاكل المعاصرة والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل.

ولما كان الحاضر لا يفهم إلا من خلال جذوره التاريخية، فإنه لا مناص من تناولها من حيث امتدادها الزمني، فمثلا دراسة العرف بين الماضي والحاضر من التتبع التاريخي.

[1]- محمد صفوح الأخرص: المنهجية وطرق البحث في علم الاجتماع، المطبعة الجديدة، دمشق، ص 117.

المنهج المقارن:

يذهب جيمس فريز "إلى أن المنهج المقارن هو طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة أو جماعات داخل المجتمع الواحد، أو نظم اجتماعية للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية وإبراز أسبابها وفقا لبعض المحاكاة التي تجعل الظواهر قابلة للمقارنة كالنواحي التاريخية والاثنغرافية والإحصائية.

وفي منهج المقارنة يقوم الباحث بالموازنة بين المتغيرات في الموضوع محل الدراسة وذلك مجموعات أو عينات في نفس الوقت أو على مستوى موضوع واحد، لكن بين فترات زمنية مختلفة.

والمقارنات في شكلها العمودي والأفقي والتي وردت في دراسات هذه، كانت تلقائية وحتمية فرضتها مختلف المقاربات، خاصة وإن علمنا أن المنهج المقارن عادة ما يكون لصقيا بالمنهجين التاريخي والاثنغرافي.

التقنيات والأدوات المستعملة:

المقابلة: إن المقابلة هي تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهم وهو القائم بالمقابلة أن يستشير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث والتي تدور حول أرائه ومعتقداته[1].

المقابلة هي أداة هامة للحصول على المعلومات من خلال مصادرها البشرية، وإذا الباحث كان شخصا مدريا فإنه سيحصل على معلومات هامة تفوق مع أهميتها ما يمكن أن نحصل عليه من خلال استخدام أدوات أخرى مثل الملاحظة والاستبيان، ذلك لأن المقابلة

[1]– ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2009، ص 114.

تمكن الباحث من دراسة وفهم التغيرات النفسية للمفحوص والاطلاع على مدى تفاعله وتأثيره بالمعلومات التي تقدمها، كما أنها تمكن الباحث من إقامة علاقات ثقة ومودة مع المفحوصين مما يساعده على الكشف على المعلومات المطلوبة، ويستطيع الباحث من خلال المقابلة أيضا أن يختبر مدى صدق المفحوص ومدى دقة إجاباته عن طريق توجيه أسئلة أخرى مرتبطة بالمجالات التي شك بها الباحث[1].

الفائدة من هذه الأداة هي إجراء مقابلة مع المبحوثين من أجل الإجابة عن تساؤلات الدراسة والوصول إلى نتائج دقيقة عن العرف في المجتمع التبسي[2].

الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من الوسائل التي عرفها الإنسان واستخدمها في جميع بياناته ومعلوماته عن بيئته ومجتمعه منذ أقدم العصور وهو لا يزال حتى الآن يستخدمها في حياته اليومية العادية وفي إدراك وفهم الكثير من الظواهر الطبيعية والاجتماعية والنفسية التي توجد في بيئته فالباحث يستند إلى الملاحظة من بداية البحث حتى يصل[3].

الإخباريون: الإخباري هو المحور الأساسي للبحث الأنثروبولوجي فهو شخصية مركزية في البحث الميداني لا يمكن تجاوزها، والانثروبولوجي ليس هو من يختار الإخباريين بل طبيعة الموضوع ذاتها وكذلك الميدان حيث تكشف ديناميكية العمل الميداني عن أن الإخباريين هم أنسب للدراسة فالإخباري يجب أن تتوفر فيه عدة شروط حتى لا يتم اعتماده كمصدر موثوق للبيانات البحثية.

[1]– رجاء وحيد: البحث العلمي أساسيته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، ط1، 1421 هـ، ص 322.

[2]– ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2009، ص 114.

[3]– دالين فن: ترجمة نبيل نوفل وآخرون، مناهج البحث والتربية وعلم النفس، مكتبة أنجلو المصرية، 1977، ص 93.

9.1. فضاءات الدراسة: اعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مجالات: المجال المكاني، المجال البشري أو ما يقصد به عينة الدراسة المجتمع المبحوث والمجال الزمني وهي كالتالي:

الفضاء المكاني: يندرج البحث الأنثروبولوجي عادة ضمن فئة البحوث المحلية الميدانية وبالتالي فمن الطبيعي أن نحاول التماس مادة بحثنا من المجتمع المحلي المعني بالدراسة وهو المجتمع التبسي بالتحديد بلدية بئر العاتر –تبسة– وذلك من خلال العديد من الفئات المحلية المستنطقة من أفراد وجماعات.

الفضاء البشري: اخترت عينة الدراسة من المجتمع البحثي وكانت العينة تحاول ان تعمم الدراسة على جميع الفئات والمستويات من الأمي حتى المستوى الجامعي واستخدامهم كإخباريين لموضوع (العرف)، لقد تم اختيارهم حسب جملة من الشروط، وحسب ما سمحت به الرزنامة الزمنية للبحث الميداني مقارنة مع اتساع الرقعة الجغرافية، إلى التأكيد أو الرفض النهائي للحل المقترح للمشكلة التي يدور حولها البحث محاولة منا الوصول إلى الحقيقة، وهي تعتبر وسيلة لجمع البيانات في جميع هذه المناهج.

الفصل الثاني

لتاريخ وعلاقته بالأنثروبولوجيا

ـ2ـ1ـ تاريخ نشأة الأنثروبولوجيا وتطورها

ـ2ـ2ـ ميلاد الفكر الأنثروبولوجي عند المسلمين

ـ2ـ2ـ1 – أهمية الكتب للرحالة المسلمين في الدراسات الانثروبولوجية

ـ 2ـ3ـ نماذج من الكتابات الأنثربولوجية عند العلماء المسلمين

ـ 2ـ 3ـ 1ـ عند إبن خلدون

ـ 2ـ 3ـ 2 ـ عند المرادي

ـ2ـ4ـ علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ

ـ2ـ5ـ الأنثروبولوجيا التاريخية في الدراسات الإستعمارية.

ـ 2ـ6ـ الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في الجزائر

ـ2ـ7ـالأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في المغرب

تمهيد:

تعتبر الظاهرة البشرية هي ظاهرة تاريخية، تستند على ثلاثة معايير أساسية هي: الزمان والمكان والإنسان حيث لا نستطيع تصور الإطار التاريخي للكائن البشري خارج هذه المعايير فالزمن هو الذي تنشأ فيه الأحداث، أما الكائن البشري هو أساس هذه الظاهرة التاريخية وصانعها، حيث يعد التاريخ هو جذور الدراسات الأنثروبولوجية، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى العلاقة التي تربط بين الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية .

2-1- تاريخ نشأة الأنثروبولوجيا وتطورها .

في الواقع ولدت الانثربولوجيا من اكتشاف أوروبا للبشر الغرباء واي محاولة للفصل بين الانثربولوجيا والتاريخ لا تستند إلى معايير معرفية أكيدة فالفصل بينهما ينتج عن الصدفة التاريخية التي تنطوي عليه التقاليد الأكاديمية وكذلك عن الضرورة النظرية مهما كانت الشروح المقدمة متباعدة فان قاسمهما المشترك هو ترتيب تنوع المجتمعات البشرية بالمقابلة بين العالم المتحضر المحفوظ للمؤرخ والعالم الهمجي المسلم للفضول الاثنولوجي.كما أن الاختلاف بين الانثربولوجيا والتاريخ يجد أصله في فكرة وجود نمطين من البشر يجب ان يقابلهما نوعا معارف متمايزان هذا الاختلاف كامن اذن بالجوهر في ميدان المعرفة غير أن هذا الترتيب يبقى محل نقاش جاد فمن غير الممكن ان يبقى مجال اهتمام المؤرخ على ما هو متحضر و في الزمان دون رجوع إلى البحث في ماضي الشعوب هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الانثربولوجيا التي تدرس الثقافة والنظم الاجتماعية البدائية ليس حكرا على الانثربولوجي وحده. إذ لا بد من تكامل بين علماء التاريخ و الانثربولوجيا فقط من الناحية المنهجية قد يحدث التناقض بين الطابع الكتابي **والشفهي لمصادر** المعلومات حيث يفضل التاريخ الوثائق المكتوبة بينما الانثربولوجيا المواد الشفهية والنظرية

إن تاريخ الأنثروبولوجيا غير منفصل عن تاريخ الاستعمار الأوروبي للشعوب الواقعة في مختلف القارات.

فمنذ القرن 16 حتى النصف الأول من القرن 19 كان التجار والإداريون والبحارة المبشرون يقومون بإمداد الغرب بالمعلومات عن تلك الشعوب الأجنبية وقد ظلت الأبحاث لفترة طويلة مجالا للوصف وجمع المعلومات الخامة ، حتى اتضح أن التاريخ والأنثروبولوجيا مجالان متكاملان ومتداخلان إلى حد لم يتمكن الأنثروبولوجي من الاستغناء عن تاريخ الشعوب وفي

المقابل لم يتمكن المؤرخ من الوقوف على حقائق دون الاستعانة بالمعلومات الأنثروبولوجية إلا أن طبيعة المرحلة قبل منتصف القرن 19 كانت تبحث أكثر في "الآخر" الأجنبي الذي عرف بالمتوحش والبدائي حيث كانت لم تتبلور بعد الأيديولوجيات والمواقف الهادفة للمستمر الأوروبي لذلك ظلت الوقائع والأحداث أشبه بالروايات والطرائف غير الموثقة من الصعب من مهمة كتابة التاريخ والدراسات التاريخية و إذا حاولنا الوقوف على الأنثروبولوجيا فإن التراث المعرفي يضع المؤرخ والفيلسوف اليوناني هيروديت في صلب بدايات المعرفة عن المجتمعات الأخرى فعندما نتبع حقيقة الأنثروبولوجيا نجده عبارة عن تصوير لمراحل ومواقف وجدت بين أوروبا بصفتها المتطور والمهيمن والشعوب غير الغربية بصفتها الآخر المتخلف والبدائي الذي غير موضوعها الأساسي حيث يرى الغرب أن المجتمعات التي درت من قبل الأنثروبولوجيا الأوائل هي المجتمعات المختلفة عنه في بعض الخصائص كانت اتصالاتها مع مجموعات المجاورة وتمتعها بتكنولوجيا أقل تطور من تكنولوجية بعض التخصصات في بعض النشاطات والوظائف الاجتماعية .[1]

2 –2 ميلاد الفكر الأنثربولوجي الاثنوغرافي عند المسلمين:

إذا كانت الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان ، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة ،وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى ، فإنه يمكن القول أن العلماء المسلمين الرحالة قد أدركوا ذلك منذ وقت مبكر قبل أن يدركه الغربيون ، فالرحالة المسلمين كانوا أنثربولوجين ، لما لهذهالكلمة من معنى ، وذلك قبل أن يظهر هذا المصطلح في أوروبا ، وبالتالي لايمكن إنكار أن الأنثربولوجيا علم عربي إسلامي أصيل ذلك لأن الرواد من هؤلاء الرحالة الذين جابوا مختلف الأقطار أنهم كانوا أنثربولوجين ، فقد قاموا برحلاتهم اهتداء لقوله تعالى {قل سيروا في الأرض

[1]–بوحسون العربي :دراسة في الأنثروبولوجيا الاستعمارية ،مجلة المغاربية لدراسات التاريخية والاجتماعية ،العدد2،ص163–164

فانظروا كيف بدأ الخلق } وقوله أيضا {ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة }.

في هذا العنصر نحاول التطرق إلى ميلاد الفكر الأنثربولوجي عند المسلمين الذين كان لهم دور في إرساء أسس هذا العلم وإماطة اللثام عن الكثير من الحقائق الأنثربولوجية عن طبيعة المجتمعات التي زاروها خلال تلك الفترة وهذا يفند تلك الأطروحات الاستعمارية الغربية التي أنكرت هاته الحقيقة التاريخية مؤكدة عن مساهمة الأنثربولوجين المسلمين ركب الحضارة الإنسانية واعتبرت أن ميلاد الفكر الأنثربولوجي ظهر على أيدي العلماء الأوروبين، وقد تنكرت هذه الأطروحات لمجهودات هؤلاء الرحالة المسلمين وما قدموه من خدمات سهمت في بلورت علم الأنثروبولوجيا

إذا تأملنا في مختلف مصنفات الرحالة المسلمين الذين طافوا العالم ودرسوه ،فإنهم يعطون لنا مادة دسمة عن حياة الشعوب المختلفة وفق نظرة علمية حسب منهج الأنثربولوجيا الحديث .

انطلاقا من هذه القرائن ، يتضح اهتمام الرحالة المسلمين بوصف الشعوب التي زاورها ، حيث شكلت مصنفاتهم الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثربولوجيا لقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات الإسلامية اهتماما بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة ،وسبل إدارتها حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم ،ولذلك برز المسلمين في وضع المعاجم الجغرافية ، كمعجم البلدان لياقوت الحموي ، وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري الرابع العشر الميلادي مثل مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ،ونهاية الأرب للنويري [1]

[1]–بلعربي خالد:الفكر الانثروبولوجي في كتابات الرحالة المسلمين،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،العدد2،ص 183

وإلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعة بعلم العمران وشؤونه فقد تميزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية ،و هذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الانثربولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية

وإلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعة بعلم العمران وشؤونه ن فقد تميزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية ،وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الانثروبلوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية،وهنا تخصص في وصف إقليم واحد مثل البيروني{362-440}الذي وضع كتابا عن الهند بعنوان "تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة وهو يمثل تجربته الشخصية والميدانية التي دامت ثلاثة عشر سنة ، وصف المجتمع الهندي بما فيه من نضم دينية واجتماعية و ثقافية مع مقارنتها بمثيلاتها لدى العرب واليونان والفرس وأبرز البيروني في هذا الكتاب حقيقة أن الدين يؤدي الدور الرئيسي في تكبيل الحياة الهندية ،وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات وصياغة القيم والمعتقدات

وقد تمخضت عن هذه الدراسة حقائق وقواعد ونظريات مهمة في علم الإنسان الذي هو مجال الأنثروبولوجيا ،كما كانت لحياة ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثر وبولوجي برزت فيه اهتمامه بالناس ،ووصف حياتهم اليومية وطابع شخصياتهم،وأنماط سلوكياتهم ،وقيمهم وتقاليدهم فمثلا استحسان أهل السودان ، فمن أفعالهم قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه،وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ، ومنها شمول الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب [1].

وثمة قرينة أخرى تضاف للبرهنة على أن الأنثروبولوجيا علم عربي أصيل ،فقد أورد ابن خلدون في كتابه "العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"الذي نال شهرة واسعة في أوساط الباحثين بسبب مقدمته التي عنوانها في

[1]- بالعربي خالد: نفس المرجع، ص 183.184

العمران وذكر فيه ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك و السلطان الملك ،والكسب و المعاش ،والمصانع والعلوم ،وتعتبر هذه المقدمة عملا أصيلا في تسجيل الحيلة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا ،ولاسيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كامل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة

وقد شكلت هذه الدراسات التي احتواها كتاب المقدمة اهتمام منقطع النظير في الدراسات الأنثروبولوجية ،ولعل من أهم الموضوعات التي عالجها ابن خلدون في مقدمته ولم ينتبه إليها الأنثروبولوجين ،الغربيون إلا فيما بعد ، تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية ،فقد رد ابن خلدون استنادا إلى تلك الدعامة اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية و صفاتهم الجسمية والخلقية إلى البيئة الجغرافية التي اعتبروها عاملا في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية ، كما تطرق ابن خلدون في مقدمته أيضا مسألة قيام الدول وتطورها وأحوالها ، وبلور نظرية "دور العمران "بين البداوة والحضارة على أساس المماثلة بين حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي

وقد سيطرت هذه الفكرة على أذهان علماء الاجتماع في الشرق والغرب على حد سواء في العصر الوسيط ،حيث اعتبر ابن خلدون أن التطور هو سنة الحياة الاجتماعية ، وهو الأساس الذي تستند إليه دراسة الظواهر الاجتماعية ،ويقول في هذا الشأن " إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم لا تدوم على وتيرة واحدة ،ومنهاج مستقر ،وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ،وانتقال من حال إلى حال ،وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات ، فكذلك يقع في الآفاق و الأقطار والأزمنة والدول

لقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات ودورة الحضارات التي تمر بها ولذلك يرى بعض الكتاب المؤرخين أن ابن خلدون يعتبر المؤسس الحقيقي لعام الاجتماع بينما يرى البعض الآخر ولا سيما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون أن مقدمة

ابن خلدون تحوي بعض من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها ،وقد أشار "جون هونجيمان " الأمريكي في كتابه "تاريخ الفكر الأنثروبولوجي إلى أن هاريس " ذاته يذكر أن ابن خلدون ومن قبله الإدريسي ، قدما أفكارا ومواد ساعدت على بلورة نظرية الحتمية الجغرافية التي سادت إبان القرن الثامن عشر،وعليه يمكن القول أن الفلاسفة والعلماء المسلمين الرحالة أسهموا مساهمة فعالة خلال الفترة الوسيطة في معالجة الكثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في اهتمامات الأنثربولوجيا ولاسيما التنوع الثقافي بين الشعوب.[1]

2-2-1-أهمية كتب الرحالة المسلمين في الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة:

تُعدّ كتب الرّحالة المسلمين من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ لمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية، التي بإمكان الباحث في الأنثربولوجيا الاستفادة منها، ذلك أنّ الفكر الأنثربولوجي المعاصر عرف ثورة منهجية أحدثت هزة كبيرة في المناهج التقليدية، فلم يعد الباحث في الأنثروبولوجيا يعتمد على الملاحظة بالمباشرة فقط، وإنّما أصبح منفتحا على جميع العلوم التي يمكن أن تساعده في بلورة بحثه، حيث صار يقبس من كتب التاريخ التي تعينه على فهم الكثير من الحقائقالأنثروبولوجية، مما شكل تلك العلاقة المعرفيّة والاهتمام المشترك بين الأنثروبولوجي والمؤرخ.

لقد أثبتت الإنتاجات الأنثروبولوجيّة الحديثة والقراءات والمتابعات أنّ ثمة قلقا فعليا يراود بعض الأنثربولوجيين الغربيين من جراء عدم توظيف الكثير من الدراسات التي قام بها المؤرخون حول كتب الرحالة والاستعانة بها في أبحاثهم، ذلك أنّ الصلة وطيدة بين الأنثروبولوجيا والتّاريخ، والتّداخل بين العلمين يعكس ارتباطات الفكر الأنثربولوجيّ بحقول المعرفة الإنسانيّة والاجتماعيّة والطّبيعيّة.

[1]-بالعربي خالد:المرجع السابق،ص185.186.

لقد أفرزت كتب الرّحالة المسلمين عن ثورة معلوماتيّة هائلة كانت النور والدليل إلى ما يسمى بالكشف الأنثربولوجيّإنّه يمكن فهم الكثير من المجتمعات العربية والإسلاميّة وحل الكثير من مشكلاتها، وذلك تشجيع الدّراسات الأنثربولوجية في هذا المجال حيث أنّ المجتمعات الإسلاميّة والعربيّة في العصور الوسطى ازدهرت في ظل الدّراسات التي قام بها الرحالة والعلماء المسلمون الذين أوضحوا أنماط الحياة والقيم والعادات التي كانت سائدة في المجتمعات التي زاروها.

مما مكّنهم أن يضعوا الأساس الأول للفكر الأنثربولوجيّ الإسلاميّ، علما أنّ فهم المجتمعات الإسلاميّة الحالية لا تكون إلا أن عن طريق الأنثربولوجيا الإسلامية الأصلية البعيدة عن النّظريات والمفاهيم الغربية التي تولت دراسة مجتمعاتنا فالنخبة المثقفة من الأنثربولوجيين في العالمين العربي والإسلاميّ مطالبة اليوم من أي وقت مضى بدراسة وفهم المجتمعات.

وخلاصة القول فإنّ الأنثربولوجيا علم عربي إسلامي أصيل، أسسه الرّحالة العلماء المسلمين الأوائل الذين جابوا الأقطار المختلفة، وهنا تظهر أهمية كتب هؤلاء الرحالة في فهم طبيعة المجتمعات الإسلاميّة التي زاروها، وبإمكاننا اليوم أن نفهم واقع المجتمعات الإسلاميّة العالية، عن طريق تشجيع الدّراسات الأنثروبولجية في هذا المجال[1]

2-3-نماذج من الكتابات الانثروبولوجية التاريخية عند علماء المسلمين:

2-3-1-ابن خلدون:

ولد عام(1332-1406) فترة تميزت بتفكك الإمبراطورية الموحدية في المغرب والأندلس وتراجع المسلمين أمام القوة الصاعدة للممالك الإسبانية

[1]- العربي خالد، نفس المرجع، ص ص 187-188

بعد سقوط الدولة الموحدية انقسم الغرب إلى دويلات صغيرة على رأسها دولة بنو مرين في المغرب الأقصى ودولة بنو عبد الواد بالمغرب والدولة الحفصية بتونس وأصبحت كل دويلة من هذه الدويلات عدوة لجارتها في هذه الظرفية ولد عبد الرحمن ابن خلدون، عندما بلغ ابن خلدون سن التّعليم بدأ بحفظ القرآن وتجويده حسب المنهج الذين كان متبعا آنذاك بمسجد القبة، درس بعدها مختلف العلوم الإسلاميّة[1]

اختلفت الكتابة التاريخية عند ابن خلدون عن سابقيه مؤرخي الإسلام لقد كان الأقدمون ينظرون إلى التاريخ نظرتهم إلى ديوان أخبار ولم يعد علما له قواعد وأصول وأسسه ومناهجه، لم يهتم فقط بنقل أحداث الماضي وتسجيلها وإنّما كان يسأل أيضا عن كيفية حدوثها وأسباب وقوعها، حاول استجلاء أهم العوامل والأسس التي تتقدم من خلالها الدول وكذلك العوامل والأسباب التي تؤذن بخراب عمارتها، اعتبر العديد من الباحثين بأنه من أوائل فلاسفة التاريخ.

خصّص ابن خلدون فصلا كاملا قدم فيه أمثلة كثيرة من الأخطاء والأوهام التي وقع فيها عدد من مؤرخين الإسلام، اعتبر هذه الأصناف من الأكاذيب دخلت إلى التاريخ إما بسبب التّشيع للآراء والمذاهب أو بسبب الثّقة العمياء بالناقلين، أو بسبب الجهل بواقع العمران فكثير من المؤرخين في الإسلام جمعوا أخبار الأيام ودونوها كما سمعوها دون أن يراعوا أسباب الوقائع ويتحققوا من صحتها، يقول الطيري "إنما أدينا ذلك حسب ما أدي إلينا"

لقد أجرى تحقيقات هامة على تراث أسلافه من المؤرخين كابن هشام وابن إسحاق والواقدي والبلاذري وابن عبد الحكم والطيري والمسعودي وابن الأثير، من الأخبار الواهية فندها بأدلة عقلية وجغرافية ما نقله المسعودي عن تمثال الزرزور الذي تجتمع إليه الزازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنهم يتخذون زيتهم ويضيف أمثلة كثيرة منها قصة مدينة ارم ذات العماد، وقارن في دائرية التغير بين الإنسان والمجتمع، فالمجتمع عمر يمر به كعمر المرء

[1]–خالد طحطح: الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، عمارة معهد التسيير التطبيقي، ط1، 2012، ص ص16 18 .

الذي يولد ثم يكتمل نموه ثم يهرم فيموت وعلى هذا الأساس تمر الدولة بالمراحل التالية: بداوة، ازدهار، تدهور.

إنّ الدّولة كانت المحور الذي تدور حول أبحاث ابن خلدون، قاسها قياسا تاما على عمر الفرد ومراحل تطوره.

إنّ حركة التاريخ عند ابن خلدون هي حركة انتقال مستمرة من البداوة إلى الحضارة على شكل دورة متجددة ويتم عبر الدولة على خمسة مراحل: **المرحلة الأولى:** تنشأ الدولة على أنقاض دولة سابقة لها.

المرحلة الثانية: يتفرد السلطان بالحكم بعد أن يكون قد تخلص ممن اشتركوا معه في تأسيس الدولة للثورة تقتل أصحابها، وتتميز هذه الفترة بالبطش والجبروت، **المرحلة الثالثة:** تسود في الدولة مظاهر البذخ والطمأنينة حيث يتمتع الحاكم وحاشيته بملذات الدنيا مما تنزع إليه طباع البشر من تخليد الأثر وتحصيل المال والإسراف في الشهوات وفي **المرحلة الرابعة** تتحول الراحة والطمأنينة إلى قناعة وسكون ومسالمة، يقتنع صاحب الدولة بما حقق سابقوه وما أنجزوه من أعمال فيتبع أثارهم، وتأتي **المرحلة الخامسة:** التي يقابلها طور الإسراف والتبذير تتم للمرحلة السابقة حيث تفقد الدولة هيبتها فتنحل وتزول لأن صاحب الدولة يتحول إلى مخرب

إذا كانت الدولة في فلسفة ابن خلدون تمر بأطوار خمسة، فإنها لا تعد وثلاثة أجيال، جيل البداوة، جيل الحضارة، وجيل الترف التي تسقط في عهده الدولة[1]

الجيل الأول: جيل البداوة المقتصر على الضروري من العيش، يتميّز السكان فيه بخشونة وشظف العيش والبسالة والافتراس والتماسك والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك صورة

[1]–خالد طحطاح نفس المرجع، ص ص 18–20.

العصبيّة محفوظة فيهم ولكن البدو سرعان ما يتطورون إذ يتحول مالهم من البداوة إلى الحضارة والعمران بفعل الحكم

الجيل الثاني: جيل الحضارة المتفنن في التّرف والملذات وأحكام الصّنائع المستعملة، المنهمك في بناء القصور والاستمتاع بأحوال الدنيا وإيثار الراحة على المتاعب يقول ابن خلدون "إنّ من طبيعة الدعة والسكون والتّرف الذي هو غاية الحضارة، وهو يزيد الدّولة في بدايتها قوة إذ تتباهى المجتمعات المتحضرة به ولكنه أيضا هو العلة الأساسية لبداية الانحلال في الدّولة، وهو المؤذن بخراب العمران، فالحضارة تفسد طباع البداوة إذ يتجهوا أصحاب الدّولة الى الإسراف في التنعم ويزهدون في العمل ويركنون إلى الدعة والسكون ويخلدون إلى الراحة والشّراب ويكثرون من النساء ومعاقرة الخمر فتزول هيبة السلطة من النّفوس وتكثر القلاقل والفتن وتظهر المعارضة ويتقوى الأعداء فيفلت زمام الأمور وتبدأ الدّولة بالسقوط وتظهر جماعة أخرى من البدو تسعى إلى الملك والريادة فتحل محلهم."

الجيل الثالث: جيل الترف الهادم للحضارة والمؤذن بنهايتها، فالحضارة غاية العمران ونهاية لعمره إذ سرعان ما ينسى الجيل الثالث عهد الخشونة والبداوة فيفقدون بذلك حلاوة العز والعصبية

خلاصة القول إنّ الحضارة عند ابن خلدون طور طبيعي، فالتمدن غاية البداوة، ولكن البدو عندما يتطورون في أساليب العيش ويتقدمون في الصنائع فإنهم ينتهون إلى الفناء، لأن الحضارة تحمل في طياتها بذور الفساد[1].

[1]– خالد طحطاح: نفس المرجع، ص ص 22–24.

2-3-2- المرادي:

التّعريف به: هو صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي الحسيني البخاري الأصل، الدّمشقيّ المعروف بالمرادي، ولد كما أخبر عن ذاته في دمشق ليلة الاثنين10ذو الحجة 1173هـ/2أيلول 1759م وتوفى في شهر صفر من عام 1206هـ/1791م

لقب المرادي بالسيد إشارة إلى انتسابه لعائلة من الأشراف أي لسلالة النبي(ص) ص59

اهتم المرادي في الكتابة التاريخية بالأحوال السياسية، الأحوال الاقتصاديّة، الاجتماعيّة

الأحوال السّياسيّة: حاول المرادي إظهار مستويات مختلفة لعلاقة العلماء بالسلطة المحليّة بدمشق أو المركزيّة في إسطنبول كما أنّه يتعامل مع الواقع الاجتماعيّ من منظور شمولي فمن ناحية العلاقة مع السلطة في إسطنبول يقف المرادي موقفا إيجابيا يظهر في مستويات مختلفة إذ نجده داعيا لدولة القائمة وسلاطينها فيقول "خلّد الله دولتهم"

وإذ يحرص المرادي على إظهار علاقات أسرته مع السلاطين العثمانيين

نلاحظ من خلال تتبع المرادي لعلاقة العلماء بالسلطة المحليّة، بأنّ العلماء نجحوا بشكل واضح في لعب دور الوسيط في مجتمعهم المحلّي بين الأهالي من جهة والهيئة الحاكمة من جهة أخرى.

الأحوال الاقتصاديّة: إنّ ملامح الحياة الاقتصاديّة عند المرادي تستخلص من خلال مُجمل السّير الذّاتية التي يترجم لها وذلك باعتبار ما أتى عليه شكل جزءًا هامًا ومن ضروريات تكامل بناء التّرجمة لديه[1].

فهو يتابع تراجمه في أكثر من ملمح فنجد أخبارًا حول الأوقاف في دمشق

[1]-محمد خليل المرادي: فكرة التاريخ عند العرب في العصر العثماني، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص ص 84-87.

فيُشير إلى أصحاب الأملاك من الذين حصلوا على إمكانيات وفرّت لهم دخلًا كبيرا من إيراد أموالها، ويشير المرادي إلى أنواع العملة المتداولة والأجور والرّواتب وبعض من أنواع الضرائب ويُضيف إلى ذلك أخبارًا حول الزّراعة وأحوالها والأموال التي تبعث إلى الخزينة السلطانية مثل خزينة السّكر وينفذُ إلى تحديد موارد العلماء ووسائل تكسبهم اليومية (ص94/93)[1]

الأحوال الاجتماعيّة: يصف بعض ملامح الحياة الاجتماعيّة وذلك بوصفها تُمثّل سجّلا لنشاط فئات متنوعة من المجتمع تجمع فيما بينها العلماء والولاة والقضاة والكتاب ومؤدبي الأطفال وزعماء العسكر وشيوخ الطّرق وغيرهم ويهتم بأصول بعض العائلات فيجدّد أصول مواطنها وانتسابها ويُقيم أحوالها ودرجة حضورها وفاعليتها في المدينة فيتحدث عن مواردها والوظائف التي نالها أعيانها وبقدر ما حاول المرادي أن يجمع في مؤلفاته تراجم تشترك فيما بينها بصفات متشابهة أو تنتمي إلى منزلة واحدة إلّا أنّه يُلمح لبعض الفوارق بينها في المستويات الاجتماعيّة فيستخدم تعبير"المال والدون" في الإشارة إلى فئات مجتمعه.

ويضيف إلى ذلك متابعة لأخبار بعض من الكوارث والنوازل كالزلازل أو انتشار الأمراض في المجتمع إلى جانب إبرازه لأهميته دور العلماء الاجتماعي في رفع الكثير من المظالم عن رعايا الدّولة .

الأحوال الثّقافيّة: مؤلفاته أشبه بسجل للأحوال الثّقافيّة في عصر مؤلفها وعصر من ترجم لهم من علماء وأعيان وناس من المال والدّون كما يعبّر هو. فهو مصدر هام لدراسة أحوال أهل القلم والأدب في علاقاتهم مع بعضهم عبر مطارحاتهم ورسائلهم ومساجلاتهم، وفيما أورده من رسائل شعريّة ومناظرات أدبيّة يُعدّ منهلا لدراسة نتاج ذلك المصدر وتقييمه،من خلال ما نظم فيه من أشعار و ما كتب من رسائل يمكن من خلالها التعرف إلى الفنون الأدبية ،

[1]– محمد خليل المرادي، نفس المرجع، ص ص 93–94.

وأشكال التأليف ومستوى الأصالة في الشعر ، والفنون المستحدثة فيه ، وأسلوب بناء القصائد ويعرض المرادي لأدوات الثقافة والحياة العلمية في المدارس والجوامع والزوايا ويتابع أحوالها عبر تراجم سير القائمين على التدريس فيه ومن خلال هذه السير ، أوضح المرادي مواعيد الدراسة وأوقاتها وأيام العطل وطرق التدريس حتى ، ونفد إلى كيفية جلوس المدرس في الدرس كما حدد المساعدين والمعيدين ولم يكتف بهذا بل سعى إلى تقييم مستوى إفادة المدرس أو العالم للتلاميذ معبرا عن ذلك بألفاظ مختلفة منها :" كان له النفس المبارك على الطلبة ولا يقتصر تقييمه هذا على علماء مدينته بل يتابع أخبار غيرهم ويقف عند موارد العلماء ويحدد الحرف التي عملوا بها ، إضافة لتعليم .

ويعدنا بإسهامات المدرسين وتأليفهم ، والكتب التي درسوها في فنون متعددة ، وهو يبدو مهتم بالمتفردين في اختصاصهم ومعارفهم فيمدحهم ويصفهم بعبارات تنمّ عن معرفتهم الواسعة كقوله :"وله اليد الطولى في المعرفة ، أو قوله :" وكان مالكا زمام العلوم ".[1]

2-4- علاقة الانثروبولوجيا بالتاريخ:

تمكن هذه العلاقة في الإنتاج المعرفي الذي تأسس كمنهج التحليل الأنثروبولوجيا، عبر مراحل الدراسات التاريخية و الأنثروبولوجية على الإجتماعية و الثقافية التي وجدت عند مختلف الشعوب ، و قد تحددت هذه العلاقة من خلال الإتجاهي التالين :

الإتجاه التطوري: إعتبر أول تيار فكري في تاريخ السياسية ظهرني أواخر 19 أي مابين (1850-1910) عبر الزمن في مختلف أنحاء العالم على درجات متفاوته من الثقافة إن إنسان المجتمعات (الغابرة المعاصر على مايقول الباحث التطوري هو صورة عن أجدادنا القدماء و عن مجتمعهم الذي كنا قد شهدناه في مامضى ، و موضوع البحث الأساسي هو أن نفسر تاريخيا مختلف المراحل الت مرت بها البشرية عبر إكتشاف القوانين التيّ أتت الإنتقال

[1]-محمد خليل المرادي:نفس المرجع ،ص 100

من مرحلة إلى أخرى ، هذا الموضوع، أما فيما يخص المنهج فإن الإتجاه التطوري يعتمد على التاريخ لكنه تاريخ تخميني، أي إفتراضي و حسب أي تاريخ مليتس، إذا أنه لايملك بالنسبة لهذا النمط من المجتمعات تلك المستندات التي يعتمدها تقليديا، أي الوثائق المكتوبة التي تأتي لتؤكد صحة واقع تاريخي ما أو حدث تاريخي ما.

كما أن المقارنة التاريخية في الدراسة الأنثروبولوجية تفترض دراسة الظاهرة التي تحتم الإنتقال من مرحلة إلى أخرى ، بحيث تؤدي هذه الحتمية التاريخية إلى تفسير سببي أي عندما تتوفر معطيات معينة تؤدي إلى نشأة ظواهر عن الظاهرة التي سبقتها ، نذكر على سبيل المثال أعمال كل من :[1]

–ل– مورغان (المجتمع الفابر 1877) و إ–ب– تايلور (بدايات التاريخ البشري و نمو الحضارة 1865) و كذلك (الثقافة البدائية –1871)

•الإتجاهالإنتشاري: إستخدم هذا الإتجاه أيضا التاريخ كأداة تفسيرية لتغيير الإجتماعي ، حيث بحث في صيغ الإنتشار من ثقافة إلى أخرى ، أي كيف ينتقل عنصر ثقافي من مجتمع إلى آخر ، وبالتالي فإن نظرته لهذا الموضوع هي نظرة تاريخية تتناول دائمة كيفية وصول التغيير عبر الزمن ، إلى جانب ذلك كانت نظرته جغرافية أيضا لأنها تتابع التغيرات التي تحدث في إقاليم و مناطق معينة ، لقد عمل هذا الإتجاه على إثبات تاريخية الشعوب المفترضة دون تاريخ عبر دراسة توزيعها المكاني فعندما سجلت الأنثروبولوجيا الوظيفة مقاربتها المنهجية بالملاحظة و التحقيق الشفهي ، إنشغل العلماء التاريخ في فرنسا حيث تأسست مدرسة الحوليات (مدرسة الأحداث) أصبحت تهتم بالحاضر و بالتحولات عبر الزمن ووجهت علماء التاريخ إلى دراسة المدان و الأحداث أهمية بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجي حاليا،

[1]– لحسون العربي: المرجع السابق ذكره، ص 170.

نستطيع القول أن البحث في تاريخ الشعوب يتطلب تعاون كل من علماء التاريخ و الأنثروبولوجيا من أجل تزاوج التقنيات للوصول إلى الفائق البعيدة [1].

2-5- الأنثروبولوجيا الكتابة التاريخية في الدراسات الاستعمارية:(الجزائر والمغرب أنموذجا

-في الوقت الذي إستعان فيه الإستعمار بخدمات الأنثروبولوجيا و إستطاع أن بجد مبررات لتوظيف علماء الأنثروبولجيا لدراسة المستعمرات ، تمثلت في غياب الدراسات التاريخية حول هذه الشعوب وحتى الدراسات التي توفرت قبل الإحتلال الفرنسي ، بالإضافة إلى الدراسات التي قامت فرنسا بالتأكد منها في الميدان ، لقد ألصقت بالأنثروبولوجيا تهمة العلم الذي يخدم الإستعمار، لا شيئ سوى أن البعض رأى أن الدراسات المونوغرافية و الأنثروبولوجية التي أنجزها الغرب على الشعوب التي إستعمرها عملت على كشف خصوصيات المجتمعات ،

لقد كانت الحكومة في رعاية البحوث الأنثروبولوجية جزءا من سياسة عامة دعمتها المستعمرات لجمع المزيد من المعلومات الموثوق بها عن التنظيم الإجتماعي ونظم معتقداتهم، حيث تعاونت الإدارة الإستعمارية مع الأنثروبولوجيين في هذه الوظيفة على غرس إيديولوجية الاستعمار وكان الهدف الرئيسي هو ضبط السكان[2]أما الإنتماء الحضاري من دين و لفة و تاريخ و عادات و تقاليد و فلوكور فتعرضت إلى تشويه و مسخ قد لا نجد له نظيرا حتى عند أشد الأنظمة العنصرية نظرا في القرن العشرين ، لأن الفرنسيين أدركوا منذ الوهلة الأولى أن الحظر الذي يهدد كيانهم ينبع دائما من عناصر الهوية الجزائرية هذه، وحتى الجغرافية مسها التشويه فقسمت و جزئت : السهل و الجبل و الصحراء ، و الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب.

[1]-بوحسون العربي .المرجع السابق ذكره ص 170

[2]- بوحسون العربي ، المرجع السابق ذكره، ص 171.

–كل هذه المكونات البشرية و المعنوية و المادية المذكورة كانت ممل دراسات و أبحاث تكفل بها في بداية العهد الإستعماري [1].

– إن وقائع الإستعمار الفرنسي في الجزائر (أي جرائمه) كثيرة لا تعد ولا تحصى أبشعها حدثت أيان الثورة التحريرية الجزائرية (1912–1945) و لبشاعة ألوان التعذيب و الجرائم من المذابح و المجازر ، يصنف بعض من الباحثين الجزائرين من خلال كتاباتهم المستقاة من شهادات وأحداث واقعية ،الإستعمار الفرسي في الجزائر جريمة ضد الانسانية غير أن الكتابات التاريخية ظلت فانية خلال الفترة (1830–1954) من جانب الجزائريين ذلك لأن الإستعمار قد بالغ في تزوير الوقائع و الأحداث التاريخية قاصدا ذلك إلى تعقيدنا أي جعلنا نشعر بالنقص ، وإلى إظهارنا بمظهر يتامى التاريخ ، ويرجع السبب إلى أن كتابة التاريخ كما يرى بعض المؤرخين هو الذي يكتب بأعلام أبنائه لأنهم أدرى بوقائعه و مجرياته الصادقة .

و في مقابل ذلك ظهرت كتابات الفرنسيين و خيرة في هذا المجال التي نراها دوما أنها كتابات مزيفة غرضها تنظيف التاريخ الفرنسي،مما اقترفته ضد الشعب الجزائري وتعد هذه صورة من صور طمس الحقائق وتشوييهها التي لازال العال الغربي يعتمد عليها إلى اليوم، و على هذا الأساس ينبغي أن يكتب تاريخ بلادنا كما يرى نايت بلقاسم بعقلنا بطريقة منهجية و منظمة و بنزاهة علمية و لكن أيضا بروحنا تماما كما تفعل جميع الأمم[2] .

2–6–الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في الجزائر.

سعت القوى الاستعمارية الكبرى من وراء توظيف الدراسات الأنثروبولوجية خلال هذه المرحلة إلى فهم الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والتركيبات الاثنية والعرقية للمجتمعات المراد السيطرة عليها ،ولذا فقد شجعت الإدارات الاستعمارية الأبحاث الأنثروبولوجية وذلك للقيام

[1]– همان عبد السلام: جامعة العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة المسيلة، المدرسة التاريخية الاستعمارية في الجزائر

[2]–بوحسون العربي :المرجع السابق ص164

بدراسة ظاهرة التثاقف وعملية تأثير الثقافة الغربية على الدول المستعمرة ، ومحاولة معرفة درجة التأقلم أو المقاومة لثقافة المستوردة من طرف المستعمر ،على ضوء المعطيات المرتبطة بمسار تشكل المعرفة الأنثروبولوجية التاريخية بالمنطقة المغاربية خلال فترة الاستعمار[1].

كانت الجزائر باعتبارها أولى البلدان المغاربيبة هي فاتحة لمشروع الاحتلال الفرنسي ،فقد تم توجيه الأنظار :"نحو المناطق البكر ،كمنطقة القبائل والأوراس وميزاب "لتكوين منطلقا للدراسات الإثنوغرافية،ثم جائت لعدها تونس ثم المغرب الأقصى لتنال كل واحدة منها نصيبها من الدراسات التي انصبت على على موضوعات ومحاور لا تكاد تختلف عن تلك التي تم التركيز عليها في الجزائر.

نالت الجزائر خلال الخمسين سنة الأولى من الاحتلال (1880.1830) نصيبها من الكتابات الإثنوغرافية المتعددة ،فاق بكثير نظيرتيها تونس والمغرب الأقصى بحكم أسبقيتها في الوقوع تحت قبضة الاحتلال الفرنسي ،والتي غالبا ما أخذت طابع الأبحاث الاستكشافية أو الدراسات العسكرية ،والموجهة لخدمة الأهداف العسكرية والسياسية للاحتلال الفرنسي .

فمنذ بداية الاحتلال تم توجيه الأنظار :"نحو مناطق البكر ، كمنطقة القبائل والأوراس وميزاب"لتكون منطلقا لدراسات الاستكشافية والعسكرية ثم جاء بعدها بعض المناطق الأخرى لتنال كل واحد منها نصيبها من الدراسات التي انصبت على موضوعات ومحاور لا تكاد تختلف عن تلك التي تم التركيز عليها في المناطق البكر.[2]

[1]–محاضرة في البحث الأنثروبولوجي خلال مرحلة الاحتلال بالمطقة المغاربيبة،مقياس انثروبولوجيا مغربية

[2]–مصطفى أوشاطر :أنثروبولوجيا المغرب العربي ،جامعة أبي بكر سنة 2020.2019.

2-7-الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية في المغرب.

منذ أواخر القرن 19 عشر وبداية القرن 20 شكل المغرب قبلة للمستكشفين من رواد السسيولوجيا وعلماء و الاثنغرافيا والأنثربولوجين ،حيث ساهمت دراستهم في تكريس مفاهمية استعمارية شكلت من دراسة الشعوب الأخرى " المجتمعات التقليدية المفتقرة لتدوين تاريخها " ، " والكثير من الباحثين في هذا المجال يجزمون اليوم أن القوى الاستعمارية تحكمت عن بعد في عدد من الدراسات الأنثرولوبوجية، التي أنجزت في هذه المرحلة، بل كانت هذه القوى وراء العديد من هذه الدراسات التي ساعدتها على معرفة حقيقة المجتمعات المستعمرة) بفتح الميم الثانية(، بغية التحكم فيها من خلال استغلال تناقضاتها البنيوية الأساسية التي لها علاقة بالسلطة والدين والمعتقد والاقتصاد[1].

ومن الدراسات ما يعرضه هنري باصي («ما يلزمنا دراسته بالدرجة الأولى هم السكان المغاربة: صناعتهم وعاداتهم، ومؤسساتهم، وكذلك الأعراف والمعتقدات. هذا العمل ابتدأ منذ زمان، فقد ترك لنا الرحالة الأوروبيون الذين زاروا المغرب (و في كل الأوقات) نصوص أسفارهم، واعتبروا إلى حد ما، إثنوغرافيين. بعدهم جاء دور العلماء وبدأت الدراسات المنهجية لعادات وتقاليد الساكنة المغربية. وعندما جلبت الحرب المعمر الفرنسي للمغرب، انصب الاهتمام على دراسة عادات السكان وطرائق عيشهم بكيفية علمية تامة» ،فقد اهتمت الأنثروبولوجيا بأشكال الحياة الاجتماعية المرتبطة بالمدى الطويل ، والتأثيرات التي تمارس عليها وأنواع الملكيات السائدة وفق الأعراف القبلية ، وأصناف الأعراف المعتمدة في القبائل البشرية [2].

ويقتضي الحديث عن الكتابة التاريخية المونوغرافية المغربية المعاصرة على وجه العموم ،استحضار المكونات الأساسية الآتية

- طبيعة هذه الكتابات .
- حدودها الزمنية .

[1]-عبد العزيز بودرة : الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية ،أعراف القبايل المغاربية ، مملكة العربية

[2]-جان نويل فيري :أنثروبولوجا المغرب وضعيتها وآفاقها ،ط2019م ،ص ص 4.5

– امتداداتها المجالية .

وهذه العناصر الثلاثة تحيل إلى ما يجمع رواد البحث التاريخي المونغرافي من روابط وأهداف ، فرضت معالجتها والكتابة فيها منهجا معينا مختلفا كان أو موحدا . أملبروز اسم الكتابات التاريخية المغريبية التقليدية فإحالة إلى وجود اتجاه جديد / حديث دشنه البحث التاريخي المغربي منذ سبعينات القرن العشرين إلى اليوم ، عرف باسم " المدرسة التاريخية الحديثة " أو الاتجاه الجديد، الذي يحيل في دلالته عن ثلاث مكونات رئيسية يرتبط أولها بجنسية أصحابها أي المِؤرخين المغاربة دون غيرهم من المؤرخين ، والعنصر الثاني يحيل على حقبة إنتاج هؤلاء المؤرخين المغاربة ، أي حقبة مع بعد الحماية أما العنصر الثالث فيتضح في وحدة أقطاب البحث التاريخي الجديد من حيث الاقتباس والطريقة والهدف .

إن النظر إلى الوثيقة التاريخية باعتبارها دعامة أساسية في بلورة مشروع إعادة التاريخ المغربي العام ، يعد من العناصر الأساسية التي جسدت مظاهر الاستمرار والتشابه بين الكتابة التاريخية التقليدية ونظريتها الحديثة .

ولقد اعتبر مؤرخو التأليف التاريخي التقليدي أن الوصول إلى كتابة تاريخ مغربي شمولي وعلمي ، لن يأتي دون الوصول إلى الوثائق الخاصة .

لقد جاءت الكتابة التاريخية المغربية المعاصرة استجابة للتموجات الحضارية التي شهد المغرب خلال مرحلتي الاستعمار وما بعد الاستقلال ، كما أنها لم تنفصل عن تأثيرات محيطيها الإسلامي والعالمي .[1]

[1]–مجاة العلوم الانسانية والاجتماعية ،المجلد3،العدد10، 30أكتوبر 2019م ص ص .125.133

الفصل الثالث

العرف كمرجعية وحركية للمجتمع التبسي

- 3-1- مفهوم العرف.
- 3-2-أقسام العرف في الفقه الإسلامي:
- 3-3: أسباب نشوء العرف في المجتمعات
- 3-4-أ أثر التحول الإجتماعي على وظيفة العرف
- 3- 4-1 أمثلة عن الأعراف المتغيرة
- 3-5- البعد الأنثروبولوجي لظاهرة العرف
- 3-6- المداخل النظرية لدراسة العرف في المجتمع الجزائري

تمهيد:

– مما لا شك أن العرف يتولد من متطلبات المجتمع و إحتياجاته، وله دور فعال في تسهيل حركته، بحيث يحفظ منظومة القيم ، و يحقق الإنسجام و التجانس بين مكوناته ، ويظهر هذا إجماليا في مختلف المناسبات الإجتماعية في الأفراح والأقراح، و مع تغيير ة التقدم إختلفت الكثير من الأعراف و كذلك إختلفت معه العادات والتقاليد التي كان يتمسك بها الأجداد و كذلك الآباء لم يعد الأشخاص قادرين على مواجهة العصر الحديث بنفس العادات، مما أدى إلى تغيير الكثير من الأعراف المحمولة بها، ومما سبق نحاول التطرق في هذا الفصل إلى مفهوم الأعراف و دورها في المجتمع، وأهم الأعراف التي تغيرت.

3-1-مفهوم العرف:

-يعتمد العرف من الأدلة الشرعية و مصدرا من مصادر القانون ومن هذا ستحدد مفهوم العرف الإصطلاحي الفقهي و القانوني :

3-1-1- العرف في الإصطلاح الفقهي:

-ورد الشريف الجرباني: (توفي 816م) تعريف للعرف قال فيه " ما إستقرت النفوس عليه بشهادة العقول تلفته الطباع بالقبول"[1]

- وتبين في هذا التعريف مايلي :

-قوله "ما إستقر في النفوس": لفظ ما يعم الفعل و القول ، فهو يجري في الأقوال و الأفعال التعاملية و الخلقية ، و لفظ إستقر في النفوس يخرج ما حصل نادرا و لم يكن عادة.

-و قوله "بشهادة العقول": يخرج ما إستقر في النفوس من جهة الشهوات لتتعاطي المسكرات و ما إستقر في النفوس بسبب خاص.

-و قوله "تلفته الطباع بالقبول ": يخرج ما أتكرته الطباع أو بعضها فإنه لا يكون عرفا[2] و التعريف المذكور رغم شمولية و بيانه للمعنى لا يؤخذ عليه أنه يؤخذ عليه أنه جعل قبول الطباع معيارا لقبول العرف، دون تحديد صفة ذلك القبول ، ولا شروطه ولا ضوابطه، فمن أين تعرف سلامة الطباع أو حسنها من قبحها؟ تؤدي الإحالة إليه إلى تفاوت الأعراف فلا يستقر عرف مشترك، أما الفاسدة فمر دورة شرعا، فيكون التعريف قاصرا على العرف المقبول في الشرع وهو غير شامل كما أريد له.

-وبناء عليه، فالمختار أن يقال في بيان معنى العرف هو ما إستقر في النفوس من جهة العقول وتلفته الطباع السليمة بالقبول، و إستمر الناس عليه، مما لا ترده الشريعة[3]

---

[1]- علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998، ص 193.

[2]- مجمد عبد الله إبن التميم: أعمال العرف في الأحكام والفتاوى في المذهب المالكي، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري، دبي، 2009، ص 23.

[3]-السيد صالح عوض،أثر العرف في التشريع الإسلامي ،دار الكتاب الجامعي ،القاهرة 1979م ص52

- 3-1-2- العرف في الإصطلاح القانوني:

-من الثابت أن جوهر القانون هو ذلك المضمون الإجتماعي، لأن القانون نشأ يقصد تنظيم الحياة الإجتماعية. ويمثل العرف إعتياد الناس على سلوك معين في ناحية معينة في حياتهم الاجتماعية بحيث ينشأ لديهم إعتقاد بوجود قاعدة ملزمة، و أن من يخالفها سيتعرض لجزاء مادي[1].

فالعرف القانوني الوضعي مجموعة من القواعد غير المكتوبة يتبعها الأفراد في سلوكهم أجيالا متعاقبة، حتى نشأ الإعتقاد لديهم أن تلك القواعد أصبحت ملزمة، وأن من يخالفها سيتعرض إلى جزاء الجماعة.[2]

-و يتنوع العرف من حيث مدى الإلزام به إلى عرف أمر آخر مكمل، فالعرف يكون غير متعلق بالنظام العام و الآداب العامة ويكون العرف آمر إذا كان متعلق بنظام العام ، و في العرف الأمر لا يجو للأفراد الأنفاق على ما يخالف أحكامه، وفي العرف المكتمل يجوز للأفراد الإنفاق على مخالفة الأحكام القاعدة العرفية.

-ويقوم القانون بين العرف و العادة الإتفاقية التي مفادها إتباع الأفراد لسلوك معين من الزمن دون أن ينشأ في إتقادهم إلزامية هذا السلوك، و قد أطلق عليها بعضهم تسمية العرف الناقص.

-وهناك فروق جوهرية بين العادة الإتفاقية و العرق، فالقاضي يطبق العرق دون حاجة لتمسك الخصوم في النزاع به، أما العادة فإنها لا ترتقي إلى مرتبة القانون.

-ويعتبر العرف أصدق القواعد القانونية لأنه يتغير أصيل عن أرادة الأفراد داخل الدولة، وله دور هام في الحياة التشريعية، إلا أنه قد تعترضه صعوبات في حالة تغير الظروف الإجتماعية و إقتصاء ملاحقة التطورات بما يحقق مصالح الجماعة، كما قد يكون العرف

[1]– رمضان أبو السعود: الوسيط في شرح القانون المدني، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 74.

[2]سمير عبد السيد تناغو:النظرية العامة للقانون،منشأة المعارف، الإسكندرية1999م،ص141

خاصيا بإقليم معين، يما يؤثر على وحدة النظام القانوني الواجب التطبيق. يذهب الكثير من الباحثين إلى العرف.[1]

- 3-2 أقسام العرف في الفقه الإسلامي:

-ينقسم العرف في الفقه الإسلامي إلى عدة أقسام بإعتبارات مختلفة:

- 3-2-1- العرف بإعتبار مظهره:

- ينقسم إلى عرف قولي و عرف عملي:

-فالفرق القولي هو إطلاق لفظ على معنى ثم شيوعه و إستقراره في النفوس، مما يجعل المعنى الذي نقل له اللفظ عرفا منطبقا عليه حتى يصعب إطلاقة على غيره ذو قرينه و مثال ذلك إطلاق لفظ الولد على الذكر دون الأنثى، مع أنه يشمل النوعين في اللغة قال تعالى ("يوصيكم الله في أولدكم للذكر مثل حظ الأنثيين")،[2] إن طريق تكوين العرف التولي هو إتفاق الناس على هجر المعنى الأصلي، ونقل اللفظ بواسطة الإستعمال الشائع المتكرر.[3]

-أما العرف العملي فهو إشتهر بين الناس في التعامل فتفارقوا عليه و ساروا عليه في معاملتهم و تصرفاتهم و شؤون حياتهم.[4]

- 3-2-2- العرف باعتبار مصدره: وينقسم إلى:

*عرف العام: هو ما تعرفه الناس جميعا في عصر من العصور وبذلك يتكون من تعارف الناس على أمر معين على إختلاف طبقاتهم لإختلاف الإجماع الذين يكون بإتفاق المجتهدين دون عامة الناس.

*العرف الخاص: فهو متعارف عليه أهل بلد ما دون غيره من البلدان، و بثبت التجار ديونهم من خلال دفاترهم التجارية.

---

[1]-جيلالي عجة .مدخل العام للقانونية،برتي للنشر،الجزائر 2009م ، ج 1، ص 310

[2]-سورة النساء الآية 11.

[3]- مصطفى ودا ندادا،حجية العرف عند الأصوليين أثره في الفقه الاسلامي،رسالة ماجستير في الدراسات الاسلامية كلية التربية حنتوب،جامعة الجزيرة،السودان،2019مص34

[4]-مصطفى ندادا،المرجع نفسه ص 35

*العرف الشرعي: اللفظ الذي يسهل من قبل الشارع ويراد به معنى خاصة مثال الصلاة التي نقلت من معناها اللغوي (الدعاء) إلى معناه الشرعي المتمثل في الحركات التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وكذلك الصيام الذي نقل من معناه اللغوي إلى الإمساك الخاص.[1]

3-2-3-العرف بإعتبار صحته:

ينقسم إلى عرف صحيح وعرف فاسد ، فالعرف الصحيح هو كل ما تعارفه الناس ولم يكن مخالف لنص الشرعي و الإجماع، ولم يفوت مصلحة ولم يجلب مفسدة.

أما العرف الفاسد هو كل أمر داع وبقاع بين الناس وجرت عليه معاملاتهم ، مثال، تعامل الناس مع البنوك الربوية و إختلاط الرجال مع النساء في الأعراس.

- 3-3 أسباب نشوء العرف في المجتمعات :

بالتّتبع وجد أنّ الأعراف والعادات التي تسود في مجتمع ما ترجع إلى :

-إمّا إلى ضرورة اجتماعية ألجأت ذلك المجتمع إلى سلوك هذا العرف أو تلك العادة ، ليحقق له مطلبا من مطالب حياته ، ثمّ يتكرّر ذلك الأمر ويستمر حتى يصبح عرفا لا يستطيع أحد أن يخالفه أو يخرج عنه .

-وإمّا إلى حاجة ماسّة تؤدي عدم مراعاتها وحفظها إلى وقوع النّاس في الحرج والمشقّة ، فيكون العرف في هذه الحالة حاجبا وما أكثر الحاجبات في كل عصر ، إذ هي تتجدد بتجدد العصر وتتطور بتطوره ، ولهذا نجد أن الأعراف السائدة في أيّ مجتمع تستند إلى كونها تلي حاجة من حاجات المجتمع ، فعرف الدولة مراعى في نظامها ن وعرف المواطنين على اختلافهم في المهن والأعمال مراعى في تعاملهم مع بعضهم بعضا ، حتّى أصبحت هذه الأعراف هي المحكّمة والسائدة لا ينازع فيها منازع .

[1]- أحمد أبو سنة ،العرف ةالعادة في رأي الفقهاء،د،ر،ط دار الكتاب الجامعي،مصر 1947م ص20

وقد يكون السبب أمر صاحب السلطان في الجماعة ن أو رغبته في شيء خاص

وقد يكون وراثيا بحتا ،ليس للجماعة حاجة إليه ،ولا عمل في خلقه سوى أنهم تلقوه عن الأسلاف ، كما هو الحال في العقائد الجاهلية [1].قال تعالى (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة إنا على آثارهم مهتدون).[2]

وقد يكون السبب في نشوء ذلك العرف هو التقليد الأمة لزعيم لها ،في عمل عمله واستمر عليه ،وتشبهها بالحكام والأكابر .ومنه أيضا تقليد الأمة المغلوبة على أمرها لمن استعمرها أرضا وفكرا ، حيث تتلقى كل ما لديه من أعراف و عادات وتقاليد ، وتحرص على تطبيقها كما جاءت على أنها الأولى بالإتباع .

وهذه الأسباب تختلف من مكان لأخر ، ومن زمان لآخر ، متأثرة بظروفها الزمنية والمكانية ، ولذلك نجد ما هو معتاد في بلدة قد يختلف عما هو معتاد في بلدة أخرى سواء عرفا قوليا أم عمليا ،وهاذا الاختلاف قد يكون راجع إلى أمر طبيعي ، كالاختلاف في المناخ حرارة برودة وغيرها [3]

3-4-أثر التحول الإجتماعي على وظيفة العرف

إن مما يستدعي النظر المتجدد أن الأعراف الإجتماعية قد تصاحب بأعطاب و أمراض خاصة عند التحولات التي تتعرض لها المجتمعات فقد تفقد الأعراف وظائفها الحيوية أو كفاءتها الوظيفة مما يجعلها عرضة للتحول، والتأثير سلبا على إنسجام المجتمع و إستقراره، [4].

-ويمكن رصد أهم صور تأثير التحولات الإجتماعية على وظيفة العرف في الجنوح إلى التحايل و التعقيد و التركيز على المظاهر و الشكليات و سرعة التعبير وتراجع قوة الإلزام.

---

[1]- إعداد سعود بن عبد الله :العرف و تطبيقاته المعاصرة ص10

[2]-سورة الزخرفة الآية 22

[3]-إعداد سعود بن عبد الله ، المرجع السابق،ص11

[4]-محمد العليوات:وظائف العرف والتحولات الاجتماعية،مجلة البصائر ،بيروت،عدد27،ط2003،ص73.

إن التحول الاجتماعي يسبب صورا من اهتزاز القيم ،الذي يغري من بتجاوزها بشكل غير صحيح ،وبعبد عن استفزاز أحكام التشريع والأعراف المستندة إليها ،ولأجل الهروب من التناقض الداخلي ، ومن الصدام مع المجتمع في حال المخالفة الصريحة للقيم الاجتماعية ،يتكون عرق اجتماعي خجول ابتداء من متجاوز للقيم يعتمد في التعبير عن نفسه على التحايل لصناعة السلوك الجديد ، ويبحث عن طريق ملتوية وغير مباشرة لإخراج الفكرة الجديدة إلى الواقع ،ويقوم هذا السلوك الجديد بالترويج لنفسه تدريجيا ليجعل لنفسه موقعا داخل النسيج الاجتماعي ولو بعد حين [1]

3-4-1 أمثلة عن الأعراف الإجتماعية المتغيرة .

اللباس المحتشم بالنسبة للمرأة: هو موضوع له أهمية بالغة كحكم شرعي، حيث تتجه الأعراف الجديدة في الوقت الحاضر إلى التحاليل على الحجاب عن طريق بعض الأزياء الجديدة التي تقوم بجزء بسيط من وظائف الحجاب وحيث إن العرف الإجتماعي المستند على الحكم الشرعي ينكر التبرج فيلجأ عندئذ العرف الجديد إلى التحايل على العرف السائد ليأخذ طريقه في التشكيل تدريجيا كسلوك عام موازيا للأول ومنافقيه.

- المهور و تكاليف الزواج:

-إن من أكثر المظاهر الدالة على الإتجاه نحو التعقيد مانشهده من مجتمعاتنا إلى المبالغة و التكلف في المهور و الهدايا و حفلات الخطوبة و الزواج، مما جعل المجتمع يكلف نفسه دفع فواتير باهضة التكلفة إلى حد كبير، كان من الأجدر أن توظف في مشاريع تنمو به تعود على المجتمع.

[1]- محمد عليوات:المرجع نفسه: ص74

- التكلفة و المبالغة في المناسبة الإجتماعية:

-أصبحت فاتورة العلاقات الإجتماعية بدورها باهضة و مكلف بسبب المبالغة و التكلف في الضيافة، وهدايا البيوت الجديدة و المواليد الجدد و حفلات الختان ونحوها ، وفي كل يوم يستحدث الجديد الذي يرفع فاتورة الإنفاق الأسري مما ينتج عنه تثاقل و عزوف كثير من الناس عن تلك العلاقات المكلفة و الحرص على التخلص من أعباء إجتماعية و مالية و نفسية بالغة و الإنسحاب التدريجي من الحياة العامة ويؤول الأمر إنتشار أمراض العزلة النفسية و التفكك و التشرد داخل المجتمع.

-التفريط في ممارسة حق القوامة باسم الحرية الشخصية:

إن الذي يلاحظ وضع أغلب الأسر في المدن الكبرى يكاد يحرم الرجل لا سلطان له على أهل بيته، ولا يؤخذ الرجل خبرا إلا إذا كان المطلوب منه شيئا من الدعم المادي، و الذي كانت عليه الأسرة العربية وتوارثه الأجيال أن الكلمة الأولى و الأخيرة لرجل البيت على أّهله و الذي دعمته الشريعة الإسلامية أن الزوجة تطبيع زوجها في العمل المشروع ولاتخرج من البيت إلا بإذن هو في حدود التزام الأخلاق الإسلامية.[1]

3-5 البعد الأنثروبولوجي لظاهـرة العرف :

اعتمدت الأثيوبولوجيا في دراستها على العرف البحث واعتبرته كمصدر رئيسي في اتّجاهها **وأخذت** منه عدة أبعاد أهمها البعد الديني فالأعراف في المجتمع الديني مصدر موثوق يحمل كلّ ما تعرفه القبيلة من لحظات فرح أو حزن ، حرب أو سلم ، وفرة أو قلّة ، نصر أو هزيمة ، وهذا ما تدرسه الأنثروبولوجيا .

[1]-محمد عليوات،المرجع نفسه ،ص ص .74.73

انطلاقا من ذلك اعتبرت الأعــراف من الوثائق الضمنية يستشّف منها المؤرخ معطيات في غاية الأهميّة ، وقد تعايش النّاس بهذه الأعراف والتّقاليد وهي في جملتها تفاصيلها مستمدّة من الشّريعة الإسلامية .

أولا: الاستدلال من القرآن الكريم : استدل بحجية العرف أنّه دليل شرعي يبنى عليه كثير من الأحكام مثل قوله تعالى : " خذ العفو وأمر بالعرف " [1] .

فكلّ ما أشهدت به العادة قضي به لظاهرة هذه الآية إلا أن يكون هناك بيّنة ، وكذلك قوله تعالى : " وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف "[2].

فتحديد الرّزق والكسوة ونوعيتهما تابع للعرف .

ثانيا الاستدلال من السّنة :

ما رواه ابن مسعود عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح " .[3]فهذا الحديث يستدل به كثير من الفقهاء عندما يحكّمون العرف في مسألة من المسائل ، كما يستدل به الأصوليون في إثبات حجيّة أو الاستحسان

وهكذا يتبيّن مقدار تأثير الأعراف والعادات وسلطانهما في الأحكام وتسليم العلماء بذلك غير منكر ، وهو تأثير يظلّ متجددا ما كن في النّاس أعراف وعادات وما تجددت الحياة وبرزت أعراف جديدة كلّما تقدمت بهم وسائل الحياة والإنتاج ، وتبدّلت أساليب المعيشة واتّسع العلم والعمران .[4]

[1]– سورة الأعراف الآية 199

[2]– سورة البقرة الآية 233

[3] – مسند الامام أحمد : من علماء الحديث طبعة 1 ، دار السّلام للنّشر والتوزيع .السعودية 2013، ص271 .

[4]–حسنين محمود حسنين:العرف في الفقه الإسلامي ،دراسات في أصول الفقه .

ثالثا :الإجماع :

إن العرف يستند إلى الإجماع العملي وذلك بأن يكون الدليل هو الإجماع ،وهو إجماع العلماء على اعتبار عرف ما و موافقتهم عليه ،ويكون بحالتين :إما بإقرارهم عرفا جرى عليه الناس وعدم إنكارهم له من أي أحد منهم وهو الإجماع السكوتي ،وإما يكون بممارسة أهل الإجماع لهذا العرف مع الناس ،وهذا هو الإجماع العملي [1]

والإجماع السكوتي حجة عند أكثر الحنفية قطعا ،أما ما تكرر من الأمور ومعه السكوت فيقول بحجيته ،وأرجع أهل المالكية عرف أهل المدينة إلى الإجماع العملي لأهل المدينة وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه لأبي يوسف رضي الله عنه لما ذهب إلى المدينة وبين له مقدار الصاع عند أهل المدينة بحضور جماعة منهم ذكروا أنهم توارثوا العمل به من عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم :"أتراهم يجمعون على باطل " وكذا تثنية الآذان و إفراد الإقامة فرجع أبو يوسف إلى قوله وقال "لو رأى صاحبي –يقصد أبا حنيفة– ما رأيت لقال به .[2]

ومن الأعراف الاجتماعية أعراف المياه نجد أعراف المياه ،كإحدى الوثائق المعبرة عن إيقاف الحياة اليومية للمجتمع المحلي وقد تكون الأعراف معدة قط لمسألة المائية ،إذا تكون هذه المسألة ضمن عرف عام للقبيلة على أن الأعراف تقتصر على ضبط العلاقات الداخلية للقبيلة تكون في شكل اتفاقيات تنظيمية لعلاقات القبائل المجاورة مما يضطرها المجتمعات من نسج علاقات في شكل اتفاقيات قبلية عرفية ، تتبنى في بعض الأحيان على التنازلات حرصا على استمرار الماء، وبذلك تتخذ الأعراف طابعين : الأول عقدي رمزي والثاني عملي نفعي يختلط فيه المقدس بالمدنس ،وقد لعبت الأعراف دورا إيجابيا في حل العديد من القضايا والإشكالات التي كانت تنشي بسبب الماء بين مختلف القبائل ومكونات "القصور "وتجاوزت التحديات التي

[1]–صالح عوض أثر العرف في التشريع الإسلامي ،دار الكتاب الجامعي ،مصر 1972ص185

[2]–صالح عوض :نفس المرجع ص187،188

تفرضها العوامل الطبيعية .لذلك فدراسة المجتمعات لا يجب أن تقتصر على عوامل دون أخرى ،بل وجب أخذ بعين الاعتبار القوانين العرفية [1] وكذلك يدخل العرف في عدة قضايا تناولتها الأنثروبولوجيا مثل حل النزاعات ،الميراث وغيرهم لعبت الأعراف دور فعال وسريع و ذلك من مقاربة أنثروبولوجية ، بالرغم من تقلصها اليوم بفعل عامل التثاقف القانوني إبان الفترة الإستعمارية ثم بعد نشأة الدولة الوطنية فإن مجالس العرفية مزالت تساهم في الكثير من النزاعات العقارية بالاستعانة بقواعد القانون العرفي في إطار الخبرة القضائية وقد يقع الاتفاق بالتراضي على معالم الحدود بمساعدة العقال والمجلس القروي ، حيث يقوم العقلاء ورجال الدين بدور حاسم من أجل إقناع المتنازعين على التنازل المتبادل لتسوية النزاع وتحقيق الصلح [2]

3-6 المداخل النظرية لدراسة العرف في المجتمع .

اتفق الفقهاء أن العرف مع توافر أركانه المادي والمعنوي في تصرف ما ، يكون قاعدة قانونية ملزمة مصدرها العرف ، وفي هذه الحالة لا يجوز للأشخاص مخالفتها أو الخروج عليها وإلا تعرضوا للجزاء القانوني [3]، لكن الاختلاف الأساسي بين الفقهاء حول مصدر الإلزام في القاعدة العرفية أو أساس القوة الملزمة للعرف ،وتعددت آراؤهم والتي تجسدت في عدة مذاهب نوردها كما يلي :

أولا - نظرية الرضاء الضمني للمجتمع

يرجع أصحاب هذا المذهب أساس القوة الملزمة للعرف إلى الرضاء الضمني للمجتمع بشأن العرف، فالعرف يستمد قوته الملزمة من اعتياد الجماعة على إتباعه و شعورهم بلزومه وعدم

[1]-محمد بسباس و محمد السهلي :الأعراف مصدر لإنتاج المعرفة التارخية ،أعراف المياه ،المجلد الأول العدد الثالث سبتمبر 2019،ص237

[2]-عبدالله نوح:دراسة حول المؤسسات العرفية بمنطقة القبائل وواد ميزاب

[3]- غالب علي الداودي :المدخل إلى العلوم القانونية ،النظرية العامة للقانون وتطبيقاتها في التشريع الجزائري،ط 1 دار جسور الجزائر ص 165

جواز الخروج عليه. فالقانون في نظرهم ليس من خلق الحاكم أو السلطان ولكنه من صنع الزمن و ينشأ في ضمير الجماعة بأجيالها المتعاقبة [1]

لكن انتقد هذا المذهب على أساس أنه يلغي في جعل القانون إنتاج آلي ذاتي[2]، كما أنه يغفل بذلك عن دور المشرع في اختيار أنسب التشريعات التي تصلح للمجتمع .[3]

ثانيا – نظرية الرضا الضمني للمشرع

يرى أنصار هذا المذهب أن أساس القوة الملزمة للعرف هو الرضا الضمني للمشرع ، ويتمثل ذلك في عدم اعتراضه عليه[4] ، حيث أن القول بأن مصدر القوة الملزمة للعرف هو إرادة الشعب الضمنية لا يصدق إلا على المجتمعات التي يكون فيها الشعب هو صاحب سلطة التشريع ، ولذلك من الأصوب القول بأن مصدر القوة الملزمة للعرف هو إرادة المشرع الضمنية باعتباره صاحب سلطة التشريع ، ولذلك من الأصوب القول بأن مصدر القوة الملزمة للعرف هو إرادة المشرع الضمنية باعتباره صاحب سلطة التشريع وبالتالي رضا المشرع عن عرف ما وسكوته على تطبيقه وعدم اعتراضه على إتباعه والعمل بموجبه وعدم إلغائه بتشريع ناسخ مع قدرته على ذلك يعتبر رضا ضمني من المشرع على إقراره من خلال إصداره تشريعا يراعي فيه سلوك الناس .[5]

وقد انتقد هذا الرأي على أساس أنه ينكر الحقيقة التاريخية التي تسلم بأن العرف كان أسبق في الظهور من التشريع فقد كان المصدر الوحيد للقواعد الملزمة في المجتمعات القديمة ، كما يؤخذ على أصحاب هذا المذهب أنه جعل للقانون مصدرا واحدا وهو التشريع الوضعي في

[1]–محمد الصغير جعفور ،مدخل إلى العلوم القانونية ، الوجيز في نظرية القانون ، ط 18،دار هومة الجزائر ،2011،ص189

[2]–غالب علي داود،المرجع نفسه ص 165

[3]–محمد سعيد جعفور المرجع نفسص189

[4]–أحمد سي علي ،مرجع سابق،ص269

[5]– غالب علي الدواوي ،مرجع سابق،ص 166

حين أن مصادر القانون متعددة كالدين ، وقواعد العدالة ..... الخ إضافة إلى أنه غلب إرادة الدولة على العرف الذي يعبر عن سلوك الأفراد وحاجياتهم. [1]

ثالثا– نظرية الضرورة الاجتماعية

مفاد هذا الرأي أن العرف يستمد قوته الإلزامية من الضرورة الاجتماعية التي تفرض وتحتم وجوده إلى جانب التشريع ،فللعرف قوة ذاتية لأنه الوسيلة الطبيعية التي تمارسها كل مجموعة في تنظيم ما يصعب على التشريع تنظيمه ، وقد أخذ بهذه النظرية كثير من الفقهاء باعتبار أن العرف تفرضه الحاجة الاجتماعية [2]

رابعا – نظرية تطبيق القضاء للعرف

فحوى هذا المذهب أن مصدر إلزامية العرف ليس اعتياد الناس على إتباع سلوك معين، إنما تطبيق القضاء لهذا العرف عند الفصل في القضايا هو الذي يضفي على القاعدة العرفية عنصر الإلزام ، فالعرف لا ينشا تلقائيا وتعارض مصالح الأفراد في إطار القواعد التي ينبغي أن تضبط علاقاتهم هو الذي يجعلهم يلجئون إلى سلطة اجتماعية هي المحاكم يكون لها الفصل في النزاع ، ومع تواتر أحكام هذه السلطة و استقرارها تصبح القاعدة العرفية ملزمة .

ولقد انتقد أصحاب هذا المذهب لأن الأخذ به يجعل القاضي غير ملزم بتطبيق القواعد العرفية وهو ما يتعارض مع القانون الذي يقضي بتطبيق العرف في حالة انعدام نص تشريعي يفصل في النزاع ، فالقاضي هذا لا ينشئه إنما يكشف عن وجوده ، فالمحاكم تطبق العرف لأنه موجود وليس العكس .[3]

[1]–محمد سعيد جعفور،مرجع سابق ص188

[2]–فريدة محمد الزواوي ،المرجع نفسه،ص ص 82.81

[3]– غالب علي الدواوي، مرجع سابق،ص192

خامسا – نظرية الإرادة الصريحة للمشرع

يرى أنصار هذا المذهب أن أساس الإلزام في العرف هو الإرادة الصريحة للمشرع ، فالعرف لا يكون له وجود إلا إذا نص المشرع على الأخذ به و ارتضاء الأمة من خلال السلطة التشريعية العمل به ، لأنه يستجيب لمقتضيات حاجياتها الاجتماعية [1]، وهو ما جسده المشرع الجزائري في المادة الأولى من القانون المدني ، التي نصت على اعتبار العرف مصدرا رسميا احتياطيا للقانون الجزائري بعد مبادئ الشريعة الإسلامية ،وهو ما يؤكد أن المشرع قد أخذ بهذا الرأي [2].

كخلاصة لما سبق ، لا يمكن إنكار فضل المذاهب السابقة في تحليل القوة الملزمة للعرف ، وحتى ولو لم تصلح أفكار الآراء السابقة في تقديم المبرر الكافي لإلزام العرف إلا أنها تصادف جانبا في هذا المقام ، فلا شك أن العرف يعبر بصدق عن إرادة الجماعة لكنه لا ينشئ العرف ، بل لابد من إرادة واعية وهي السلطة المشرعة إضافة إلى الإرادة الصريحة لها في تبني عرف ما كما أنه لا يمكن إنكار قوة العرف الذاتية المستمدة من الضرورات الاجتماعية والتي تتروح حسب كل مجتمع سواء كان تقليدي أم منظم ، أين يلعب العرف دورا هاما في معاونة التشريع وتكملة ما ينقصه ، كما أن تطبيق المحاكم للعرف يؤدي إلى تأكيده و تدعيمه و إزالة كل لبس حول مضمونه.[3]

[1]–محمد سعيد جعفور،المرجع نفسه ،ص194

[2]– محمد سعيد جعفور،المرجع نفسه،ص124

[3]– رمضان ابو السعود،محمدحسن منظور،مدحل إلى القانون–القاعدة القانونية،ط1،منشورات الحلبي الحقوقية

فالفصل الرابع:

-4-1- الدراسة الميدانية

-4-2- تحليل المقابلة على الفئة المثقفة

-4-3- تحليل المقابل على الفئة غير المثقفة

-4-5- تحليل العام

4 -1- الدراسة الميدانية :

تعد الدراسة الميدانية أو البحث الميداني بأنها طريقة نوعية لجمع البيانات تهدف إلى مراقبة الأشخاص والتفاعل معهم من أجل فحصهم أثناء تواجدهم في بيئتهم .

يبدأ البحث الميداني عادة في بيئة محددة على الرغم من أن الهدف النهائي للدراسة هو مراقبة ونحليل السلوك المحدد أو الظاهرة المدروسة ومع ذلك يشمل البحث الميداني مجموعة متنوعة من أساليب البحث الإجتماعي بما في ذلك الملاحظة والمقارنة وغيرها

تمت الدراسة الميدانية في بداية تاريخ 13 مارس 2022 بالضبط بلدية بئر العاتر بدأت الدراسة بعينة عشوائية (أفراد المجتمع التبسي) لمعرفة بعض المعلومات حول موضوع الدراسة وعن كيفية إستخدام العرف ومدى إستمرارية الحكم بالعرف حيث كانت أول خطوة هي الملاحظة بالمشاركة و أجريت بعض من الحوارات حول الموضوع بطرح بعض من الأسئلة على مجموعة من الأفراد واخترت المنهج المقارن والتاريخي لأخد الفوارق بين الأشخاص في اعتمادهم على العرف في حياتهم فتبين أن للمجتمع فئتان :

- **الفئة المثقفة** : تتمثل في الأشخاص الذين يمتلكون مستوى تعليمي ثانوي أو جامعي فما فوق
- **الفئة غير المثقفة** : تتمثل في الأشخاص غير المتعلمين أو لهم مستوى تعليمي متدني .

تحليل المقابلات :

4-2-تحليل المقابلة على مستوى الفئة المثقفة

العينة الأولى :

هو ممرض صحة يبلغ من العمر 25 سنة بعد إخباره بموضوع دراسني سألته: عن تصوراته للعرف . وهل يفضل العرف أم ا لقانون:. فأجابني " (أفضّل العرف لأن العمـل به أصح من القانون لما له من دور فعـال في تماسك الأفراد وتقوية الروابط الاجتماعيـة . فسألتـه: كيف ذلك ؟ فقال: مثال (منروحش نشكي ببني عمي أي مشكل نحلوه بالعرف وأشار أن هذه المنطقة قائمة على كثير من الأعراف لا يمكن تجاوزها تفرض هيمنتها على الفرد. كما قال لا يمكن التخلي عن العرف في جميع شؤوننا الحياتية فهو يعتبر وفقا للقاعدة الفقهية المشهورة المعروف عرفا كالمشروط شرطا) و أن العرف السائد بين الناس إذا اتفقوا عليه في شيء ما فإنه يعتبر شرطا وأشار قائلا: أن لها أبعاد يقوم عليها العرف أهمها القرابة العوامل الإنسانية و الإجتماعية المجال الديني الدين المعاملة فسألته: ماهي إيجابيات وسلبيات العمل بالعرف فأجابتني (من إيجابيتها الثقة بين الناس وتساعد في تسهيل مختلف الأمور وهو أيسر و إقتصادي يساعد في توطيد العلاقات و زرع ثقافات مختلفة وفيه الكثير من القيم أهما التسامح التصالح ومن سلبياته هجر الدين ضياع حقوق وتعطيل واجبات تجاهل العدالة لأن العرف فيه الكثير من الأحكام غير العادلة لا تتمشى مع مصالح المجتمع) وقال أيضا (أن المجتمع ليس محافظا على كل الأعراف قد يكون حفظ عليها في أمور وأمور لا حسب مصلحته) إنتهت المقابلة

العينة الثانية

صاحب مكتبة (تاجر) متحصل على شهادة ليسانس في الحقوق تبادلنا أطراف الحديث حول موضوع البحث فأخبرته بموضوع دراستي حيث كان سؤالي له كيف هي نظرتك للعرف في المجتمع فأجبني قائل يكون العرف أفضل في الأمور

الإجتماعية والإنسانية كالبيع والشراء والكراء والديون والسلف وغيرها ويكون تطبيق القانون أفضل من الأمور المتعلقة بالحقوق والواجبات والعلاقات الإدارية كالزواج مثلا علينا التوثيق قانونيا للحفاظ على حقوق الزوجين والأولاد فسألته هل للعرف علاقة في تقوية الروابط الإجتماعية الروابط الإجتماعية وتماسك الأفراد فرد قائلا نعم للعرف دور حساس في الحفاظ على العلاقات الإجتماعية والإنسانية خاصة والعرف بين الناس المعروفين لدى بعضهم البعض فهو يرتكز على مدى المعرفة بالأخرين وقال أيضا أن جميع المعاملات تقريبا تتم في إطار العرف مثل توزيع الميراث ولا يتدخل القانون من تلك المعاملات إلا نادرا من أجل فض نزاع أو حل مشكلة يعجز عنها العرف يعني أن القانون يأتي في المرحلة الثانية فسألته عن الأبعاد التي يرتكز عليها الرف فأجابني العرف بين المعروفين لدى بعضهم البعض فهو يرتكز على مدى المعرفة بالأخرين الثقة المتبادلة بين الناس و الاحساس بالمسؤولية تجاه الأخرين وحقوقهم وكذلك القرابة بالدم أو النسب تجعلنا نتعامل مع العرف أكثر وسألته عن إيجابيات العرف وسلبياته فقال من بين ايجابيته انتار الثقة والأمان بين المتعاملين عرفيا تسهيل المعاملات ونشرها الحفاظ على العلاقات الوطيدة بين المتعاملين بالعرف و ترسيخ ثقافة التسامح والتنازل لصالح الأخرين ومن سلبياته إمكانية ضياع الحقوق إذا لم يكن التعامل في الطريق الصحيح الابتعاد عن القانون بسبب التمسك بالعرف و عدم تطبيقه تعطيل سير العدالة في بعض الأمور المتعامل فيها انتهت المقابلة

العيّنة الثّالـــــــثة :

أستاذ وشاعر يبلغ من العمر 33 سنة حيث التقينا صدفة في المكتبة فسمع حديثي عن الموضوع فسألته عن نظرته للعرف وما هو رأيك بالحكم بالعرف فأجاب

:إني أفضل العرف لأنه أرفق لما له من مراعاة للجانب الإنساني فهو يراعي ظروف الأشخاص ،أما القانون فيه جانب من القسوة والإلزام ومن التجارب التي عشتها وأعجبتني فيها العمل بالعرف {كان لي صديق في يوم تثبيت كأستاذ لم يكن في يومه وكانت ظروفه صعبة بالرغم أنه متمكن ، فعمل المفتش بالعرف وثبّته فأبدع بعد ذلك ولو لم يعمل به لحرم الأستاذ من التثبيت وأصابه بالإحباط } .فسألته هل للعرف دور في تقوية الرّوابط الاجتماعية فأجابني : نعم إنّ للعرف ما يعزّز الروابط الإنسانيّة ويساهم في تماسك العلاقات فربّما لو عفونا أحيانا ولم نطبق القانون لعزّزنا في نفس الجاني حبّ الخير وردّ الجميل وعدم العودة للخطأ .فسألته عن الأبعاد التي يرتكز عليها العرف فأجاب : الأبعاد التي جعلت تعاملنا بالعرف أقرب هي الثّقة المتبادلة بين الأشخاص ومعرفة ظروفهم النّفسية و الاجتماعية وروابط الدّم والجانب الإنساني وقال أيضا : كما أن للعرف جوانب سلبية فقد يخدعنا من نتعامل معه وخاصّة إذا لم يكن هذا العرف مؤطرا وموثقا .أمّا الإيجابيات فهي كثيرة وعديدة منها مراعاة الظروف ومراعاة حالة الإنسان وإعطاء الفرص وفسح المجال أمام الأشخاص والتي خفّفت من قيود القانون وضغطه ، وكيفيّة التّعامل بالعرف في المعاملات التّجارية والممتلكات والتّوريث وغيرها .

ولكن من وجهة نظري يجب تحديد أشخاص ذات ثقة ليكونوا شاهدين على هذه المعاملة ومتحكمين في مسارها ممّا يخدم مصلحة الجميع وأحيانا يكون الشّخص مجبر على العودة إلى يد القانون .فسألته هل مزال المجتمع محافظا على العرف والتعامل به ؟ .فأجاب : نعم لا يزال مجتمعنا محافظا على العرف والتعامل به ولكن بصورة بدأت تتناقص مع الحداثة و العولمة وتغير تركيبة المجتمع وفي الأخير فإنّ هذا من ذاك فالقانون هو المؤطّر للعرف والعرف أسبق من القانون . انتهت المقابلة

العيّنـــة الرّابــعة :

أستاذ محاضر بجامعة غرداية من بلدية بئر العاتر .العمر 34 سنة .سألته ما رأيك في الحكم بالعرف فأجاب: أفضل القانون العرفي أي كل قانون مستنبط من العرف فأنا أرى فيه الصلاح وخدمة المجتمع ، لما له من جانب إنساني بني عليه فسألته ما هي الأبعاد التي يرتكز عليها العرف ؟ فأجاب : البعد الاجتماعي غرس الثقة والتراحم بين أفراد المجتمع .الجانب الديني حيث أنّ للعرف دور فعّال في الكثير من الأمور التي يحكّم فيها الشّرع على سبيل المثال الزّواج فمثلا إنّ الرجل في العقد الشّرعي على المرأة لا يدخل بها و الشّرع يرى أن يحكم العرف هنا و هو الإعلان عن الزّواج .فسألته عن إيجابيات وسلبيات في وجهة نظرك أجابني بأنه يسهل على المجتمع الكثير من الأمور وخاصّة أمور البيع والشراء ، الثّقة المتبادلة بين الأفراد ومن سلبياته مثال الحكم في الميراث فيه ظلم بالنسبة للمرأة ، تقسيم الممتلكات الوراثية كالأراضي وهناك بعض السلبيات غير مرضية للمجتمع فسألته هل مزال المجتمع محافظا على العرف

فأجابني : ارى أن العرف في اندثار ولم يبق منه إلا القليل . انتهت المقابلة

العيّنة الخامســة :

هو شاب متزوج من المجتمع يبلغ من العمر 36 سنة درس علم الفقه حيث وجهت له السؤال الروتيني عن حكمه للعرف فأجاب : أنا مع العرف إذا كان يتماشى مع الدين ومع نص صريح فالعرف هوعمل ناس ماهيش معصومة من الخطأ .(قادرين يجتمعوا على الخطأ) .أمّا إذا كان يصاحب نص يتوافق مع الأصول الموجودة في القرآن أو مصادر الكتاب ، السّنة ، الاجماع ، القياس ، فجميع مصالح البشـر في شرع الله ، أي شيء يفعله الشّخص موافق للشّرع أكيد فهو في

مصلحته .مثال : الطواف ، القيام ونحن ميّزنا الله عزّ وجلّ بالعقل ..... (مشّو أي عرف يقبلو العقل) كما حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع أمّتي على ضلالة) .وقال أيضا (ما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن) فاتّضح من خلال جوابه أنه لا يتعارض مع العرف إذا كان لا يخالف الشرع . ذكر التويزة حيث قال (من الأعراف الحسنة تتجمع الناس وتوجد العولة تطوعا من الإنسانية) فسألته هل المجتمع لا زال يحافظ على هاته العادات فأجاب قائلا : تبدلت الأعراف بسبب الثقافات والتقليد الأعمى خاصة في العادات مثل عادات الزواج (هناك عادات وثقافات هزيناهم على الغرب وقال أيضا كاين أشياء ينسبونها للأعراف). وسألته عن إيجابيات وسلبيات التمسك بالعرف فأجاب بأن من إيجابياته المحافظة على العادات والتقاليد ومن سلبياته الحكم به في الميراث إذ يهضم للمرأة حقوقها .

3-4 تحليل المقابلات على مستوى الفئة غير المثقفة :

العيّنة الأولى: كانت العيّنة الأولى زوجة مجاهد تبلغ من العمر 75 سنة بعد إعلامها بأن هذه الأسئلة التي سأوجهها لها من أجل إجراء بحث علمي فكانت البداية حول تصوراتها و نظرتها للعرف فأجابت بأمثال منها : لا عاد في الصّح ميعاد ولا عادت خيوة دويلة // الضّحك بالأسنان والقلب فيه الدغيلة //

فسألتها ماذا تعني بهذه الأمثال فردّت قائلة : من كانت النية الناس توكل من صحن واحد بكري كانت تتصالح الناس بالهداوة وعند سؤالي لها عن أثر العرف في الحياة الاجتماعية أجابت تعزز الروابط بين الأسرة تحافظ نسب العائلة المصاهرة {كنا بكري جيران يتعاركوا الصغار نحلوها بيننا أم الآن تفرقت الأسر بسبب المشاكل الأخ معادشيسقسي على خوه } فسألتها عن استعمال العرف في تقسيم الميراث أجابت عندنا المرأة لا تورث وأعطت مثالا بزوجها إذ أنّ كل أخواتومورثوش (أرضنا

ميورثهاش البرّاني) ثمّ سألتها عن إيجابيات وسلبيات العرف ، فقالت من إيجابيات الناس تتمسك :ببعضها ،الصلح زرع قيمة تسامح بين الناس أما السلبيات تضيع الحقوق خاصة بالنسبة للمرأة بسبب الجهل .

العينة الثانية :

رجل من أفراد المجتمع التبسي عامل يومي غير متعلم يبلغ من العمر 65 سنة بعد إعلامه بالموضوع طرحت عليه السؤال الآتي ما رأيك في العرف فأجاب : أنا مع العرف والحكم به {هاذا لي تربينا عليه } فروى لي موقف مرّ عليه (كاين واحد مرفوعة عليه قضية تخص الدّين لكن بحكم العرف وعدم الشّكاية بأبناء العمومة دفع عليه رجل دينه فحلّت دون قانون).كما قال انّ الحكم بالعرف أوفر للمصاريف وأيسر من ناحية المعاملات . وذكر لنا سلبيات العرف بقوله أنّ هناك تضييع لحقوق بعض النّاس .

العيّنة الثّالـــثة :

تاجر لبيع الملابس يبلغ من العمر 41 سنة بعد حواري معه كزبونة طرحت عليه السؤال كالآتي : هل تفضّل العرف في معاملاتك اليوميّة فأجاب بأنه إن كان العرف لا يخالف شرع الله نعمل به وإن كان يتصادم معه لا نستند عليه ، كما قال (حنا عندنا شرع ربي نعملوا بيه) ، وواصلت أسئلتي ، هل تعتمدون عاى العرف في حل النّزاعات فقال أنّه إذا عجز العرف عن استرداد الحقوق نلجأ لعدالة القانون .ويبقى في نظري أنّ الصلح هو أوسط الحلول وأسرعها ، وسألت إن كان المجتمع في وقتنا الرّاهن محافظا أم لا ..فردّ قائلا أنه لازال صنف متشدد ومتثبّط بالعرف بالرغم أنّ الواقع الظّاهر يعكس ذلك.

العيّنة الرابعة :

مرأة من المجتمع التبسي ربّة بيت تبلغ من العمر 37 سنة ،بعد تعريفها بنفسي و إعلامها أن الأسئلة التي سأوجهها لها هي تدخل في إطار البحث العلمي ، حيث بدأت مقابلتي بطرح السؤال الآتي ما هي نظرتكي للعرف فأجابت قائلة : أنا لا أوافق العرف إذا كان يخالف الشريعة الإسلامية لأن أرى فيه عادات لا تتوافق مع الشرع (كاينحوايج نهى علها ربي والرسول يديروها) مستشهدا بالحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من سنة سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"

فسألتها هل ترى أن العرف له دور في تماسك الأفراد : فأجابت كان(عندو دور بكري كان يتالصحوويديرو لمة ويعملو بيه يتجمعو الكبار في السن) وقالت أيضا العولمة غزت المجتمع والثقافة الغربية غيرت المجتمع فسألتها كيف ترى إيجابيات العرف وسلبياته فأجابت كانت الناس متماسكة ببعضها البعض كان الكبير عندو راي نقص المشاكل أي حاجة يحلوها بيناتهم لا توصل للمحاكم كان الإحترام ومن السلبيات قبول القرار مهما كان ، مثل الأعراف المتعلقة بالزواج كان الأمر والمشاورة بالعرف (فلانة على اسم فلان بدون أحذ المشورة بين الطرفين).

العيّنة الخامسة :

فرد من المجتمع التبسي يبلغ من العمر يبلغ من العمر 39 سنة مستواه التعليمي سادسة إبتدائي أجريت معه مقابلة حول موضوع الدراسة فسألته عن رأيه بالحكم بالعرف فأجاب : أن العرف ما اعتاده تعارف عليه الناس نفضل الحكم به نحن مزالنا نتعاملو بالعرف لأنه أسهل في الأمور الاجتماعية مثل البيع والشراء وله

دور في تعزيز العلاقات ولأن مخالفة العرف الذي اعتادت عليه الناس فيه حرج خلقنا لقيناهم يمشو بالعرف قعدنا نمشو بيه فسألته هل مزال المجتمع التبسي محافظ على الأعراف فرد تغيرت بسبب التطور ووسائل الاتصال فسألته هل ترى للعرف إيجابيات وسلبيات في المجتمع فأجاب: العرف مكملا لتشريع يوضح الكثير من الأمور ببساطة كاين أمور تتحل بالعرف أفضل ومن العيوب انه يعرقل مصالح الناس ، الناس تكون مجبورة عليه بالرغم لعدم رضاهم عنه .

4 -4 التحليل العام للمقابلات :

من خلال ما سبق من المقابلات التي أجريت مع بعض أفراد المجتمع التبسي لمعرفة تصوراتهم حول العرف من خلال مشاهدة ممارستهم اليومية في المجتمع ، وجدنا أنّ المجتمع التبسي بفئتيه المثقفة وغير المثقّفة يعتمد على العرف في تعاملاته سواء بطريقة واضحة أو طريقة مغايرة تكتسي حلّة جديدة مسايرة للتّطور الذي نعيشه في المجتمع .

حيث وجدنا أنّ الفئة المثقفة متمسّكة بالعرف وتستخدمه بالفطرة بالرغم من العولمة التي يعيشون فيها والتّغير الثّقافي ، لأنّ العرف يساير ظروف الجماعة في تطوره ويبدو أكثر مرونة في مسايرة الأوضاع الاجتماعيّة ويتلاءم مع ظروف الحياة ويتغيّر بتغيّرها ، فإذا تغيّرت ظروف الجماعة نجده يتطوّر ولو ببطئ ليساير الظروف الجديدة بمعنى أنّ الكثير بقيت محافظة على رمزيتها بالّغم من أنّها تغيّرت في شكلها العام إلا أنّها بقيت تحمل نفس الدلالات أنّ بعضا من المثقفّين متمسكين بالعرف إذا وافق الشّريعة الإسلاميّة ، أمّا إذا تصادم معها فإنّهم يلجئون للقانون لما فيه من عدالة وحفظ للحقوق كما يرى المجتمع التبسي يحافظ على الرّوابط الاجتماعية ويحافظ كذلك على مقام ولقب العائلة .

أما الفئة غير المثقفة في المجتمع التبسي نجد أن أغلبيتها متمسكة بالعرف ويعودون إليه في كل قراراتهم مهما كانت (أي يتّبعون العرف بصفة مطلقة) ويرون أن من يخالف أحكامهم طغى و انفرد عن العشيرة .

كما أن هذه الفئة ترى أن في العرف كثير من الظلم لما فيها من استبداد للحقوق وترى أيضا أن للعولمة تأثير كبير على الأعراف المتعارفة عليها بين الناس بسبب الاطلاع على ثقافة الغير (الثقافة الغربية) ، كانوا ينظرون للعرف على أنه قانون موثق يصعب تجاوزه أو النقاش فيه وكانت النخوة الشهامة والتسامح والعفو ووجود المصلحين من أهل الخير بين الناس من أبرز مظاهر المجتمع السائدة آنذاك ،ونستخلص من هذه المقابلات أن هناك عادات وتقاليد و وأعراف بقيت ثابتة تظهر عليها سيطرت العرف مثل عادات المتعلقة بالزواج وماهو متعارف عليه منذ القديم زواج الأقارب وتحديد الزوج من قبل المعني كذلك المهر نجد أن العرف المعتمد في المهر تقديمه معجلا ولا يكاد يكون تأجيله هذا ما يبين مدى تقييد الأحكام خلافا لما هو عليه في دول المشرق العربي والتي تعمد إلى تعجيل بعضه وتأجيل البعض الآخر ،

وكذلك أعراف المتعلقة بتقسيم الميراث فهي بخلاف الدين والسنة فالمتعارف عليه في المجتمع التبسي أن المرأة لا تورث و ليس لها الحق في ميراث ابيها ةهذا يخالف الشريعة الإسلامية فبقي هذا العرف سائد إلى يومنا هذا بالرغم من أنه يخالف الدين والقانون إلى أن مرجيعيته في المجتمع التبسي تعود للعرف وما جرت عليه العادة عندهم ، وكذلك الأعراف الخاصة بالصلح وفك النزاعات تعود الحكم فيها للعرف أولا يرى معظم الأفراد أن العرف هو الحل الأنسب لفك مثل هذه النزاعات وهاذا راجع لمعتقداتهم الخلفية أنهم يفضلون الرجوع في مثل هذه القضايا للعرف وذلك بسبب الروابط الاجتماعية التي تربطهم ومنها صلة الرحم ، القرابة ، النسب وغيرها

من العلاقات الاجتماعية التي تربطهم ببعضم البعض مما يجعلهم يتراجعون عن اللجوء للقانون في حين أن هناك فئة قليلة منهم يفضلون الحكم بالقانون خاصة إذا كان العرف يتعارض مع الشريعة الإسلامية حسب نظرتهم أنهم هناك الكثير من الحقوق الضائعة بالحكم بالعرف وعليه فهم لا يتفقان على العرف لكل منهم نظرته وثقافته ،

ومنهم ن يؤيد العمل بالعرف لما فيه من مزايا تفضله عن غيره وسهولته في جميع المعاملات الشخصية والعامة بين الناس مثل البيع والشراء واعتبار العرف مصدر أساسيا في المعاملات التجارية كالبيع والشراء ،الديون والسلف وغيرها ، فالعرف حسب نظرتهم هو يرتكز على مدى معرفته بالآخرين

–ف فإن أغلبية المجتمع له موقف مؤيد للعرف بفئتيه المثقفة وغير المثقفة

وهناك الكثير من الأعراف المتغيرة خلال فترات زمنية متفاوتة أو نستطيع القول فمنها من تغيرت بسبب الثقافات ومنها من تلاشت مع مرور الزمن وهناك من تغيرت وظهرت بحلة جديدة مواكبة للعصر الحاضر والتقدم مثل اللباس التقليدي حيث كانت تعرف مدينة تبسة بكثرة قبل الاستعمار بلباس يميز منطقتها ويعبر عن هويتها سواء بالنسبة للرجل أو المرأة ، فمثلا كانت تعرف المرأة التبسية (الحايك ، الملاية ، الملحفة) ، وبالنسبة لرجل يعرف بالباس الخاص (البرنوس ، القشبية ،)

وحتى الأعراف المتعلقة بمراسيم الزواج تغيرت مثال "كان العرس يقيم 7 أيام أم الآن أصبح 3 أيام ومزال في تغير ومن هنا نستطيع أن نستخلص الأبعاد الأنثروبولوجية التي أثرت على العرف في المجتمع التبسي نذكر منها أهمها :

البعد التاريخي : للبعد التاريخي أثر على العرف، حيث يعتبر دراسة التاريخ والحضارات القديمة تفسير للواقع المعاش وذلك بمروره بعدة مراحل تؤثر فيه وتتأثر

به ومن هنا نستيطع أن نطرح التساؤل الآتي : هل للتاريخ دور فعال في تفسير الظواهر الاجتماعية ؟

نجيب من خلال طرحنا لموضوع العرف أن من خلال دراستنا لتاريخ نستطيع تفسير الظواهر وتحليلها وذلك بفهم المجتمعات والحضارات ، حيث أن العرف مر بمراحل عدة متأثرا بالحقبات الزمنية والحضارات والفتوحات الإسلامية ولا ننسى بالذكر من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فمنذ عهد النبوة والأعراف بين متغير وثابت حيث كان العرف آنذاك هو المصدر الأول لتشريع من خلاله تنبثق منه جميع الأحكام والقواعد الضابطة للمجتمع ، ثم أخذ في التطور تدريجيا و بارتقاء حياة الأمة ومداركها ومعارفها ، أصبحت ذات سلطة ومنه استمد القانون بعض من الأحكام فألغى منها ماهو فاسد واعتبر منها ماكان صالحا وبذلك أصبحت العبرة لنصوص القانون .

البعد الثقافي : أثر التغير الثقافي على أعراف المجتمع التبسي حيث ترتبط الثقافة ارتباط روحيا بالعرف فهو يتأثر ويوثر فيها ، وذلك بعدة عوامل التي أثرت على الثقافة والهوية الوطنية بصفة عامة والشخصية بصفة خاصة من أبرزها نذكر الاستعمار : كيف أثر الاستعمار على تغيرات التي طرأت على العرف .. ؟

للإجابة على هاذا التساؤل نتطرق إلى أو نشير إلى الاستعمار الفرنسي وكيف ساهم في طمس الهوية الجزائرية فمنذ(بدأ الاحتلال الجزائر عام 1830م ، ومنذ حملات القائد "بوجو" الوحشية وأسلوبه الفاشي ، أخذ الاستعمار ابشع معانيه واتضحت معالمه وارتسمت سياسته وفلسفته في أرذل صورها وأشكالها

وكان الفرنسي جوري فري قد قد فضح مقاصد الاستعمار حين تحدث باسم الاستعمار الفرنسي حيث قال " ... فحيث السيادة السياسية تكون سيادة المنتجات الاقتصلدية " وقام المستعمرون محاولات دائمة لطمس معالم الحياة العربية في

الجزائر فحاولو أن يهدمو معالم الشخصية الوطنية الجزائرية من خلال هدم لغتها وتشويه ثقافتها ، وأن يمحوا كل طابع ذاتي للجزائر[69].)

ومن هنا نستخلص أن الاستعمار ساهم بشكل كبير في تغير الهوية الوطنية وبالتالي تتغير معالم الأعراف وتتأثر بموجة الاستعمار بشكل كبير وتغرس عادات وتقاليد جديدة وتنسبها للأعراف وبالتالي تحاول من هنا ضرب الهوية الوطنية والدنية بشكل خاص . ومن هنا نتطرق

للبعد الديني : الذي هو الركيزة و المصدر الأساسي في الحفاظ على العرف ومنه تستمد بعض الأعراف ، للبعد الديني دور فعال في الحفاظ على العرف لأن معظم الأعراف مستنبطة من الشريعة الإسلامية ما عدا القليل منها فيعد الدين المصدر الأساسي للأعراف فكل م كان المجتمع متمسك بدينه كلما كان مدركا للأعراف وعاملا بها فمثلا المجتمع التبسي : هناك فئة متمسكة بالعرف الذي لا يخالف الشريعة والدين الإسلامي كقولهم "اذا كان العرف ليس مخالف لدين أنا أعمل به " لأن بعض الأعراف مصدرها العادة وما اتفقو عليه ويستطيع أن يكون مخالف للشرع والسنة ولا نهمل الجانب **الاجتماعي** في تأثيره على العرف فالمجتمع هو المحرك الأساسي للعرف هو المسؤول عن التمسك بالعرف والعمل به وتأتي هنا دور الأسرة لأن الأسرة هي النواة الأولية والخلية الحافظة للمبادئ خاصة في المجتمعات الاسلامية حيث تعتبر الأسرة الممتدة ركيزة أساسية في الحفاظ على المبادئ والمعايير الاجتماعية لما لها من أهمية ودور في الحياة الاجتماعية

فمنهم من يرونها شرطا لا جدال فيه فهو ما انفطرو عليه بالفطرة ولو كان ذلك يخالف الشريعة ومنهم من لا يقتقبلها لعدة أسباب مبررا ذلك بسلبياته وأنه فيه الكثير من ضياع للحقوق والوجبات ومن هنا نستنتج عدة عوامل سلهمت في التمسك بالعرف او النفور منه بالنسبة للمجتمع التبسي :

[69]–عبد جغلول:تاريخ الجزائر الحديث:السلسلة التاريخية دار الحداثة ،ط 2 ،1982،ص7.

– أن المجتمع التبسي يرتكز في اعتماده على العرف إلى مرجعية تاريخية راسخة في أذهانهم

– المجتمع التبسي ينظر للعرف على أنه الحل الأنسب للحفاظ على الروابط.الاجتماعية والعلاقات لما في ذلك من دور فعال على استمرارية الحكم بالعرف والرجوع إليه في شتى أمورهم ..

– الاعتماد على العرف لكونه أسهل في المعاملات التجارية .

ومن هنا يمكن القول أن المجتمع التبسي مزالا محافظ بنسبة كبيرة على الأعراف والعمل دائما على إحيائها .

خاتمة

الخاتمة :

على ضوء دراستنا للأنثروبولوجيا وعلاقتها بالتاريخ العرف في المجتمع التبسي دراسة أنثروبولوجية ميدانية تبيّن لنا هذه الأخيرة ساهمت بدور فعّال في الحفاظ على العرف من خلال توثيقه كتابيّا ، وبعد الانتهاء من دراسة العرف لمدينة تبسة يمكننا القول أن العرف مااستقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطّباعة السليمة بالقبول واستمر الناس عليه مما لا ترده الشريعة ، كما يعمل العرف بصفة خاصة على تسهيل وإنسياب حركة المجتمع بشكل يصل إلى العفوية لتتلاشى الفوارق السلوكية ،ممّا يعزز إنسجام المجتمع وتجانسه ، كما يقوم بحماية منظومة القيم من خلال توجيه السلوك الإجتماعي ضدّ المؤثرات السلبية التي تعيق وظيفته

وقد كان لنا بعد الانتهاء من أهم المقابلات وتحليلها لمعرفة مدى استمرارية الحكم بالعرف في المجتمع التبسي والتعامل به بين الأفراد ، وجدنا أنّه بالرغم من اختلافهم في بعض الأمور إلا أنهم يتفقون في تمسكم به والرجوع إليه في شتى أمورهم ، وفي حـــالة عدم تحقيق مصالهم الخاصة فإنهم يهمّشونه و يلجؤون إلى القانون

نخلص من خلال الدراسة أن العرف قد مر بمراحل عدة حيث كان يمثل المصدر الأول والأساسي للمجتمعات البدائية ، ثم أخذ في التطور تدريجيا وبارتقاء حياة الأمة ومداركها ومعارفها ، أصبحت ذات سلطة وسيادة ، بذلك كان لزاما أن تقنن هذه الأعراف والعادات و أصبح ينسخ اعتبارها فألغى منها ما هو فاسد واعتبر منها ما كان صالحا وبذلك أصبحت العبرة لنصوص القانون .

وبارتقاء التشريع ووضعه القواعد القانونية الأسس الحقوقية ، ترك للأعراف رسم الحدود الفاصلة والجزئيات التي كان من الصعب على المشرع استقصائها بالنصوص وبدخول التشريع طور تفعيل القواعد العامة عاد للعرف اعتباره حيث صار يقوم فيه بدور المساعد للقانون بعد أن كان العرف هو المصدر الأساسي .

وبما أن مزال للعرف دور كبير في المجتمع التبسي والجزائر بصفة عامة يمكن أن نستنتج مايلي :

قائمة المصادر والمراجع

ائمة المراجع :

المعاجم :

1- جمال الدين بن منظور ، لسان العرب، ج2، ط ، دار النوادر ،الكويت،2010،

المراجع

1. أحمد أبو سنة ،العرف العادة في رأي الفقهاء،د،ر،ط دار الكتاب الجامعي،مصر 1947م
2. إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار طيبة، السعودية، 1999
3. جيلالي عجة .مدخل العام للقانونية،برتي للنشر،الجزائر 2009م ، ج 1، ص 310
4. حسنين محمود حسنين:العرف في الفقه الإسلامي ،دراسات في أصول الفقه
5. خالد طحطح: الكتابة التاريخية، دار تويقال للنشر، عمارة معهد التسيير التطبيقي، ط1، 2012،
6. دالين فن: ترجمة نبيل نوفل وآخرون، مناهج البحث والتربية وعلم النفس، مكتبة أنجلو المصرية، 1977،
7. ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2009،
8. ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، 2009،
9. رجاء وحيد: البحث العلمي أساسيته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، ط1، 1421 هـ،
10. رمضان أبو السعود: الوسيط في شرح القانون المدني، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2003.
11. رمضان ابو السعود،محمدحسن منظور،مدحل إلى القانون-القاعدة القانونية،ط1،منشورات الحلبي الحقوقية

12. سعود بن عبد الله :العرف و تطبيقاته المعاصرة

13. سمير عبد السيد تناغو:النظرية العامة للقانون،منشأة المعارف، الإسكندرية1999م.

14. السيد صالح عوض،أثر العرف في التشريع الإسلامي ،دار الكتاب الجامعي ،القاهرة 1979م

15. صالح عوض أثر العرف في التشريع الإسلامي ،دار الكتاب الجامعي ،مصر 1972.

16. عبد العزيز بودرة : الأنثروبولوجيا والكتابة التاريخية ،أعراف القبايل المغاريبية ، مملكة العربية

17. عبد القادر جغلول:تاريخ الجزائر الحديث:السلسلة التاريخية دار الحداثة ،ط 2 ،1982،ص7.

18. عبدالله نوح:دراسة حول المؤسسات العرفية بمنطقة القبائل وواد ميزاب

19. العرف والعادة في رأى الفقهاء، مطبعة الأزهر، مصر، 1947

20. علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998

21. غالب علي الداودي :المدخل إلى العلوم القانونية ،النظرية العامة للقانون وتطبيقاتها في التشريع الجزائري،ط 1 دار جسور الجزائر

22. محمد الصغير جعفور ،مدخل إلى العلوم القانونية ، الوجيز في نظرية القانون ، ط 18،دار هومة الجزائر ،2011

23. مجمد عبد الله إبن التميم: أعمال العرف في الأحكام والفتاوى في المذهب المالكي، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري، دبي، 2009،

24. محمد العليوات:وظائف العرف والتحولات الاجتماعية،مجلة البصائر ،بيروت،عدد27،ط2003،ص73.

25. محمد خليل المرادي: فكرة التاريخ عند العرب في العصر العثماني، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

26. محمد صفوح الأخرص: المنهجية وطرق البحث في علم الاجتماع، المطبعة الجديدة، دمشق

27. مسند الامام أحمد : من علماء الحديث طبعة 1 ، دار السّلام للنّشر والتوزيع السعودية 2013.

28. مصطفى أوشاطر :أنثروبولوجيا المغرب العربي ،جامعة أبي بكر سنة 2020.2019.

29. مصطفى ودا ندادا،حجية العرف عند الأصوليين أثره في الفقه الاسلامي،رسالة ماجستير في الدراسات الاسلامية كلية التربية حنتوب،جامعة الجزيرة،السودان،2019م

30. همان عبد السلام: جامعة العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة المسيلة، المدرسة التاريخية الاستعمارية في الجزائر.

31. محمد بسباس و محمد السهلي :الأعراف مصدر لإنتاج المعرفة التارخية ،أعراف المياه ،المجلد الأول العدد الثالث سبتمبر 2019

المجلات :

1. بلعربي خالد:الفكر الانثروبولوجي في كتابات الرحالة المسلمين،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،العدد2
2. بوحسون العربي :دراسة في الأنثروبولوجيا الاستعمارية ،مجلة المغاريبية لدراسات التاريخية والاجتماعية ،العدد2 جامعة تلمسان.
3. جان نويل فيري :أنثروبولوجا المغرب وضعيتها وآفاقها ،ترجمة ، محمد المرجان ، ط2019م